

الفصل الثالث

دولـــــــــة الأغالبــــــــــــــة

((184-296هـ / 799- 908م))

▪ الأسباب التي أدَّت إلى قيام دولة الأغالبـــــة :

في جمادى الثانية سنة 184 هـ (800م) قامت في أفريقية إمارة وراثية، بدأت مع إبراهيم بن الأغلب ابن المؤسس الحقيقي لدولة الأغالبة الأغلب بن عقال، وعملت جاهدة للإستقلال عن السلطة المركزية في بغداد(١).

وظهرت النزعة الاستقلالية قبل قيام دولة الأغالبة، ذلك عندما أراد عبد الرحمن بن حبيب (127-137هـ/744-754م) والي أفريقية التملص من سلطة بغداد، التي بدأت تتفكك وتتلاشى، لزيادة مساحتها وأقطارها البعيدة الخاضعة لها، ومحاولات العصيان من قبل الولاة وقواد الجيش، وكذلك بسبب عامل الشعوبية الذي تميزت به الدولة العباسية، والنزاعات الدينية والقبلية(٢).

وكانت ثورات البربر وحركاتها من الأسباب التي أتاحت للأغلب بن عقال أبرز قادة أبي جعفر المنصور وابنه إبراهيم بن الأغلب 184-195هـ/800-811م استغلال الفوضى السائدة في أفريقية، واعتبارها فرصة لإقامة الإمارة الأغلبية، وبرعاية شرعية من الدولة العباسية، التي أيدته صورياً، وبمباركة هارون الرشيد(٣).

وأرادت الدولة العباسية من قبول إقامة الإمارة الأغلبية أن تقضي على القلاقل والثورات للولاة والجند، والتي راهنت الدولة العباسية أنه لن يستطيع الأغلب بن عقال القضاء عليها، ولكنه تغلب عليها لحنكته السياسية وحصوله على المعاضدة من الجيش، ولاعتماده على حرسه الخاص، ولنقل مقر عاصمته من القيروان إلى العباسية(٤).

وكان سبب نشوء دولة الأغالبة نتيجة لثورات البربر (*)، وعجز الخلافة العباسية عن إرسال الجيوش والأموال والعدة للقضاء عليهم، لذلك قبل الخليفة هارون الرشيد ولاية إبراهيم

---

(١) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص5؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 257، وما بعدها.

(٢) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص5؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 258.

(٣) المرجع نفسه، ص5.

(٤) المرجع نفسه، ص5.

(*) ثورات البربر: استطاع العرب خلال فتحهم أفريقية أن يجذبوا أهل هذه البلاد من البربر إلى الإسلام، ولكن سرعان ما أخذ هؤلاء البربر يثيرون الخلاف على العرب حتى غدت بلادهم مسرحاً للفتن والقلاقل، وقد زادت ثورات البربر خاصة بعد انتشار مذهب الخوارج بينهم، وقد كانت ثورتهم أيام المنصور عندما التفوا حول أبي الخطاب المعافري الخارجي فوجه المنصور محمد بن الأشعث بأربعين الفاً لمحاربة الخوارج البربر وصحب معه الأغلب بن سالم التميمي فلقيهم ابو الخطاب بمنطقة سرت وتصادم الفريقان وقتل أبو الخطاب واستسلمت جموعه ودخل الأشعث القيروان سنة 144هـ وضبط المغرب أحسن ضبط وفتح طرابلس وولى عليها المفارق بن عفار الطائي وعلى طنجة والزاب ولى الأغلب بن سالم وهو جد الأغالبة ملوك افريقيا فيما بعد وعاد الأشعث إلى المشرق بعد أن بقي والياً على المغرب أربع سنوات. وقد ثار الخوارج البربر سنة 150هـ وفي سنة 178هـ ولى المنصور على المغرب هرثمة بن أعين، وعلى الرغم من أنه استطاع أن يضعف الثوار رأى أن إخضاعهم من الصعوبة بمكان لتأصل العداء في نفوسهم وكراهيتهم لولاتهم العرب لفرضهم الضرائب التي أثقلت كواهلهم، وعاد من المغرب سنة 188هـ، بعد أن استعفى عن الولاية من الرشيد لما رآه من الخلاف، وقد كره السكان هذه الثورات وحملوا صاحب الشرطة إبراهيم بن الأغلب على طلب الولاية لنفسه من الرشيد فكتب على الخليفة واعداً إياه بهدوء الأحوال و يكف عن المطالبة بما كانت ترسله مصر إليها من الأموال التي اعتادت أن ترسلها إليه في كل سنة، ومقدارها أربعون ألف دينار على أن تكون الولاية وراثية في أولاده وأحفاده واستشار الرشيد من يثق بهم ولا سيما هرثمة بن أعين الذي اختبر أحوال البلاد وعرفها فأشار عليه بالقبول وامتدح مقدرة ابراهيم وأثنى عليه لما رآه في عقله وكفايته فولاه الرشيد إياها في شهر محرم سنة 184هـ/800م. انظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص 62،63؛ وانظر: حسن،السياسي، ج2، ص 177؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25.

ابن الأغلب، وجعله يحكم أفريقية مستقلاً ومتوارثاً، على أن يدفع للخليفة خراج البلاد، والدعاء للخليفة وسك العملة باسم الدولة العباسية، ويقضي على حركات البربر، ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى قيام الدولة الأغلبية هو الوقوف في وجه الأدارسة والرستميين (الأباضيين)، إذا سوّلت لهم أنفسهم التسرب إلى أملاك الإمبراطورية الإسلامية [١]. وقد كان للبعد عن مركز الخلافة دور في نشوء دولة الأغالبة[٢].

لهذه الأسباب كانت دولة الأغالبة دولة مستقلة منفصلة عن الدولة العباسية رسمياً، بشروط متفق عليها بين الطرفين العباسي والأغلبي، ومن تلك الشروط إرسال الخراج، وذكر اسم الخليفة في الخطبة، وضرب اسمه على النقود.

ومن الأسباب الأخرى لقيام دولة الأغالبة بُعدُ أفريقية عن مركز الدولة العباسية واتساعها، إذ أنها تضمّ طرابلس وأفريقية والزاب، ولذلك فإن الدولة العباسية اتسعت مع ابراهيم بن الأغلب في حكم الولاية على أن يلتزم بالشروط، رغم الاتفاق إلا أن الدولة الأغلبية وتعدّ دولة الأغالبة دولة استقلالية عن الدولة العباسية، لوجود ولاة ونظام حكم وراثي من الأغلب إلى ابنه إبراهيم إلى ورثته[٣].

ولم يمانع بنو الأغلب من أن يعين الخلفاء قضاة القيروان كجزء من سيادتهم على بلاد بنو الأغلب، وعلى أن يؤدي كذلك بنو الأغلب جزءاً من المال للدولة العباسية[٤].

يقول ابن خلدون (فمن قصرت عصبيته مثل حماية الثغور، أو جباية الأموال، أو بعث البعوث فهو ملك ناقص، ولم تتم حقيقته، كما وقع كثير لملوك البربر ولدولة الأغالبة في القيروان)[٥]، ويرجع أصل الأغالبة إلى بني تميم[٦].

سمّي الأغالبة بهذا الاسم نسبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال الذي وُلد في مروا الروذ من أعمال خرسان ولّي أفريقية سنة 148-150هـ/765-767م[٧].

وكان الأغلب من الجند العربي الخراساني الذي وفد مع القوات العباسية إلى مصر وأصبح من جنودها [٨]، ودخل الأغلب أفريقية في قوات محمد بن الأشعث سنة 144هـ/761م وعهد اليه المنصور بولاية أفريقية في أواخر سنة 148هـ/765م وأوائل 149هـ/766م[٩]. والأغلب هو والد إبراهيم بن الأغلب (مؤسس دولة الأغالبة) إذ قدم القيروان سنة 147هـ وسرعان ما ثار عليه البربر، وقتل الأغلب على أبواب مدينة القيروان سنة 150هـ/767م، وقبره هناك يعرف بقبر الشهيد[١٠].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة ، ص 42، 43؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص 33.
(٢) وفيقة، نشوء الدويلات، ص 35.
(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 258.
(٤) المرجع نفسه، م1، ص258.
(٥) ابن خلدون، المقدمة ص 21.
(٦) ابن حزم، جمهرة، ج1، ص221.
(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 69-70؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص27.
(٨) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 233؛ حسن، تاريخ، ج2، ص 208.
(٩) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص27.
(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 26؛ وانظر: زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام (منذ ما قبل البعث وحتى سقوط بغداد)، دار الفكر: بيروت، ط 3، 1979، ص 387، وسيشار إليه فيما بعد: زكار، تاريخ العرب.

ولقد كان الأغلب بن سالم بن عقال من كبار رجال الجيش، ويستدلّ على ذلك أن الخلافة العباسية عندما أرسلت الوالي محمد بن مقاتل العكيّ إلى أفريقية كلفت الأغلب بن سالم بن عقال بالمسير معه في نفر من جند مصر فدخل أفريقية، واستقر بها والياً على إقليم الزاب (*)، إذ كان يعيش في ذلك الإقليم جمع كثير من قبيلة بني تميم، لكن الأغلب بن سالم بن عقال قتل في إحدى المعارك ضد خوارج بني رستم، لمحاولتهم الاتجاه شرقاً إلى أفريقية، فما كان من هرثمة بن أعين كما أسلفت إلا أن قام بتعيين الأغلب خلفاً لوالده على إقليم الزاب[١].

ومن المرجح أن إبراهيم كان في أفريقية عندما قتل والده، الذي خرج لقتال الحسن بن حرب الكنديّ[٢]، وكان معه أهل بيته وخاصته[٣]، وبعد مصرع الأغلب رجع ابراهيم مع أهله أهله إلى مصر، وكان أحد قادة جيش الأغلب سالم بن سوادة التميمي قد عين والياً عليها سنة 164هـ/780م من قبل الخليفة المهدي 158-169هـ/774-785م[٤].

كما كان عبدالله أخو إبراهيم يعيش في مصر، ويتمتع بثروة عظيمة [٥]، وقد تتلمذ في مصر على يد الفقيه الليث بن سعد[٦]، ويبدو أن الليث بن سعد قد أعجب به، فوهب له جارية اسمها جلاجل[٧]، كما قال عنه (ليكونن لهذا الفتى شأن) [٨]، ولم يبق إبراهيم في مصر، فقد تركها والتجأ إلى أفريقية، ولا تفصل مصادرنا في سبب ذلك، وأحاطت المصادر ذلك الحدث بالغموض فقد أشار اليعقوبيّ إلى ذلك بقوله (وكان إبراهيم بن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أخرجوا من مصر إلى أفريقية) [٩]. كما انفرد اليعقوبيّ برواية مفادها أن ابراهيم بن الأغلب تولى شرطة أفريقية، فلمّا توفي ابن مقاتل العكيّ استخلف إبراهيم على البلد[١٠].

لكن هذه الرواية لا يمكن الأخذ بها، لأن المصادر الأخرى لا تشير إلى أن إبراهيم تولى الشرطة لصاحب أفريقية، كما أن إبراهيم لم يتولّ أيّ منصب إلا بعد قدوم هرثمة بن أعين إلى أفريقية، لا بل تم تعيينه (إبراهيم بن الأغلب) على إقليم الزاب، في حين يوضح البلاذريّ هذا بشكل أكبر بقوله: (وكان إبراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر، فوثب ومعه اثنا عشر رجلاً، فأخذ من بيت المال مقدار أرزاقهم ولم يزدادوا على ذلك شيئاً فلحقوا بموقع يقال له الزاب، وعامل الثغر يومئذ هرثمة بن أعين)[١١].

(*) اقليم الزاب: ويشمل الزاب الأعلى (طرابلس) وهي بلاد الجريد ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل على مدينة تاعوت في المغرب الأوسط (الجزائر) ثم المغرب الأدنى، انظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص71،70؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 87.

(١) ابن الأثير، ج5، ص95؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص ج1، ص71،70؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 74؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص91.

(٢) الحسن بن حرب : هو أحد المتمردين على الأغلب بن سالم سنة 150هـ/767م. انظر:ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 72.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص75،74؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55.

(٤) الكنديّ، الولاة، ص 123؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 213؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 46.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 213.

(٦) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ج4، ص 129-132. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٧) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 213؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 92.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 94-95.

(٩) اليعقوبيّ، تاريخ، ج2، ص 211.

(١٠) المصدر نفسه، ج2، ص211.

(١١) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231.

ولكن الرقيق القيرواني يشير إلى أن إبراهيم وصل إلى الزاب وعلى أفريقية الفضل بن روح (177-178هـ/793-794م) فلقي من شعبه، وسوء مجاورته عظيماً، على حين يذكر في موضع آخر بأن والي أفريقية سنة 174هـ /790م وهي السنة التي جاء بها ابن الأغلب إلى مصر، وكان النصر بن حبيب وليس الفضل بن روح الذي كان والياً على الزاب عند وفاة والده روح بن حاتم الذي تولى أفريقية سنة (171-174هـ/787-790م)(١)، وكان نصر بن بن حبيب قد بادر بتعيين العلاء بن سعد والياً على الزاب(٢)، وعند ذلك خرج الفضل بن روح روح من أفريقية إلى هارون الرشيد، ليرجع إليها بعد ذلك من قبل الرشيد (سنة 177هـ/793م)(٣)، وحال تسلمه الإمارة أقرّ العلاء بن سعد على ولايته في الزاب(٤).

لكنَّ الكنديّ في كتابه (الولاة والقضاة) يذكر أن محمد بن زهير الأزدي الذي ولّي مصر سنة (سنة 173هـ/789م)، عين على الخراج عمران بن عيلان، الذي منع أعطيات الجند فثاروا ضده، لذلك عزله الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)، وولي على مصر داود بن يزيد (174هـ/790م) فقام هذا الوالي بطرد هؤلاء الجند إلى المغرب والمشرق(٥)؛ ولهذا فإن إبراهيم غادر مصر منفياً، لأنه كان ضمن الجند الذين وثبوا على بيت بيت المال بمصر حسب رواية البلاذريّ(٦).

وبهذا يكون إبراهيم بن الأغلب قد عاصر في الزاب كلاً من الفضل بن روح، والعلاء بن سعيد(٧).

ويبدوا أن إبراهيم بن الأغلب خصص وقته في الزاب، ليمحو بعض الأحداث الماضية من ذهنه، وليقوي من وضعه، وليكون ذا شخصية بين الجند، وسيداً على منطقته، لا سيَّما وأن الأحداث كانت تسير لصالحه، وذلك لأن العلاء بن سعيد كان مشغولاً في خضم الأحداث التي بدأت بعد مقتل الفضل بن روح(٨).

ولهذا فإن إبراهيم أصبح يكثر من إرسال الهدايا إلى هرثمة عند قدومه إلى أفريقية سنة 179هـ/795م، كما صرح له بأنه لم يمد يده إلى بيت المال إلا لحاجته للنقود، وأنه على الطاعة(٩). فولاه هرثمة على الزاب(١٠)، وهنا أثبت إبراهيم مدى إخلاصه للخلافة، فقد شارك

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 183، 213.

(٢) المصدر نفسه، ص 183.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 183؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 94؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 86؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج22، ص 242؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ، ج3، ص11.

(٤)الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 185؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، طبعة دار الكتب الشرقية: تونس، ط3، 1373هـ، ص 64 وما بعدها؛ زكار، تاريخ العرب، ص 487 وما بعدها.

(٥) الكنديّ، الولاة، ص 33؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 75-76؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 111-112.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ وانظر: محب، الحياة الفكرية، ص 44.

(٧) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 114-115.

(٨) المرجع نفسه، ص 114-115؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 45.

(٩) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231.

(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 95؛ إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 89-90، وقد أشار ابن خلدون في العبر، ج4، ص 195، على أن إبراهيم بن الأغلب كان عاملاً على الزاب.

بمؤامرة اغتيال إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة 179هـ/795م(١).

ومهما يكن من أمر، فإن ولاية إبراهيم لأفريقية لم تتم بسهولة، وأنه حدث بينه وبين الوالي السابق محمد بن مقاتل العكيّ صراع مرير. فهناك رواية في (تاريخ المغرب) للرقيق القيرواني تقول: أنه بعد أن أعاد ابن الأغلب إلى الولاية محمد بن مقاتل العكيّ كتب صاحب البربر في أفريقية يحيى بن زياد إلى هارون الرشيد بخبر إبن العكيّ وتمَّام(*)، فلما قرأ الرشيد الكتاب على أصحابه وعرفهم ما فعل إبراهيم بن الأغلب، وشاورهم في الأمر، واستشار على وجه الخصوص هرثمة بن أعين والي المغرب السابق، الذي أكد أنه ليس بأفريقية (أحد أفضل طاعة، ولا أبعد صيتاً، ولا أرضى عند الناس من إبراهيم)، فكان ذلك سبباً أن كتب الرشيد عهده على أفريقية إلى إبراهيم بن الأغلب(٢).

وهناك رواية أخرى في الكامل لابن الأثير تقول: إن ابن الأغلب كان قد كتب إلى الرشيد بناءً على طلب أهل البلد يطلب منه ولاية أفريقية، وأنه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تحمل إلى أفريقية وتقدر بمائة ألف دينار، وأنه تعهد أن يحمل كل سنة أربعين الف دينار إلى بيت مال الخلافة(٣).

وإذا اعتبرنا أن اتصال ابن الأغلب بالرشيد كان عن طريق عمّال الخليفة مثل صاحب البربر، ويمكن أن نكون قد وفقنا بين الروايتين.

وفي هذا الشأن يجب التمييز بين نوعين من الإمارات، إمارة استكفاء، وإمارة استيلاء، وتعقد الأولى بعقد عن اختيار، وتوافق مهام الوالي التقليد المولى، والمراقب، والمنقول، والمعزول، بحسب ما تقوله السلطة المركزية من رغبة(٤).

---

(١) رواية الرقيق القيروانيّ في تاريخ أفريقية والمغرب تقول : أن وزير الرشيد يحيى بن خالد البرمكي اشترى أحد شيعة الطالبيين وهو سليمان بن جرير (الشماخ) وأرسله إلى المغرب وتقول الرواية أن الشماخ حمل رسالة من الرشيد إلى ابن الأغلب وأنه قدم إلى إبراهيم – بعد اغتيال إدريس الأول – فأخبره بما كان منه. ومهما يكن من أمر، فإن الشماخ أعطى إدريس سنوناً مسموماً قاتلاً وأمره أن يستن عند طلوع الفجر ــ حيث أن إدريس قد شكا ألماً في أسنانه، وهرب الشماخ فلما طلع الفجر كان إدريس قد مات من السنون المسمومة بعد أن سقطت أسنانه، وبحث عن الشماخ فلم يظفر به. انظر : الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية والمغرب، ص 215؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 8؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 22، ص 252؛وانظر: مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، دار الفكر: دمشق، ط 1، 1973م، ج 1، ص 695؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 122.

(*) تمام بن تميم: هو أحد الثائرين على محمد بن مقاتل العكيّ سنة 183هـ/799م في تونس. انظر: ترجمة حياته في ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 69–70. ومما هو جدير بالذكر أن تماماً هذا، هو جد أبي العرب: محمد بن تميم صاحب كتاب طبقات أفريقية، ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 90؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص 46؛ نبيلة؛ محاضرات، ص 170؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 29؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 116–118؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص46.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 220؛ ابن الابار، الحلة السيرا، ج1، ص 70.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104؛ ابن خلدون، العبر، ج 4،ص196؛ ابن أبي الضياف، اتحاف، ج1، ص 10؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج 3، ص13؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 64؛ الجيلاني، تاريخ الجزائر، ج1، ص 94؛ بونار، رابح، المغرب العربي (تاريخه وثقافته)، ط2، الجزائر، 1981م، ص30. وسيشار إليه فيما بعد: بونار، المغرب.

(٤) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 377.

وتطابق إمارة الاستكفاء الوضع السابق لانتصاب الأغالبة في الحكم، وهي النوع الذي يكتسب تماماً الصبغة الشرعية المرضية[١].

وتناط الإمارة الثانية بعقد عن اضطرار، وترمي إلى إخفاء الصفة الشرعية على وضع سيء في الواقع، طبقاً لمبدأ الضرورة [٢]، ويعني ذلك أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد الخليفة، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها، فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذ أولاً أحكام الدين ليحرم من الفساد إلى الصحة، ومن الحظر إلى الإباحة)[٣].

وهناك رواية أخرى يذكرها البلاذريّ مفادها أن الرشيد عندما علم بأحداث أفريقية، استشار هرثمة فاقترح عليه الأخير بتعيين إبراهيم بن الأغلب، فكتب له الرشيد العهد، وأنه قد صفح عنه[٤].

وتشير مصادر أخرى إلى أن الرشيد ولى إبراهيم أفريقية، إلا أن إبراهيم تمكن من قتل أحد موالي إدريس الثاني ويدعى راشداً، فنسب العكيّ ذلك لنفسه، وعندما علم الرشيد بحقيقة الأمر عزل العكيّ، وولى إبراهيم على أفريقية [٥]، وهذه الرواية غير واقعية، لأنها تشير إلى مقتل راشد سنة 184هـ/800م على حين أن مقتله كان سنة 186هـ/802م[٦].

ومهما اختلفت الروايات في مسالة تعيين إبراهيم بن الأغلب على أفريقية، فإن تعيينه كما يرى بعض المحدثين جاء بناءً على موافقة الرشيد، لا سيما بعد أن عرض عليه أن يدفع له أربعين الف دينار، ويستغني عن المائة ألف دينار التي كانت ترسلها خزينة مصر لأفريقية[٧].
لأفريقية[٧].

وكانت سياسة الرشيد في تلك الفترة ترمي إلى الحدّ من نفوذ البرامكة، الذين كانوا يدعمون محمد بن مقاتل العكيّ[٨].

فعزل محمَّد بن مقاتل العكيّ وتعيين إبراهيم بن الأغلب مكانه يندرج ضمن سياسة الخلافة في الشرق[٩].

ويجب أن لا نغفل أيضاً أن هناك مسألة مهمة كنا قد ذكرناها، وهي وجود دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وقد كانت قد بدأت تزاحم الخلافة أملاكها في المغرب، بل وامتدت مزاحمتها إلى مصر، فقد راسل إدريس الأول أهل مصر[١٠].

ولهذا فمن الطبيعيّ أن تقوم بالدفاع عن أراضيها، ولكن نتيجة الثورات ووجود حركات انفصالية أخرى تزاحم الدولة العباسية على أراضيها قبلت الدولة العباسية بوجود دولة أخرى

---

(١) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 377.

(٢) المرجع نفسه، ص 377.

(٣) المرجع نفسه، ص 377.

(٤) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 122.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 90-91؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 27-28.

(٦) الطبريّ، تاريخ، ج8 ص 302؛ ابن عذاري، البيان، ص 82.

(٧) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 123.

(٨) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص89.

(٩) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 125-126؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص50.

(١٠) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج3، ص 17-18؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 374؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 50.

تدافع عن أراضيها، ضمن شروط تم الاتفاق عليها مسبقاً، وفي الوقت نفسه منفصلة عن الخلافة بإنشاء دولة تكون جاهزة [١]، أي تكون حاجزة بين ممتلكاتها وبين مناطق المغرب العربي[٢].

وبمعنى آخر إن الخلافة اتعظت من مشكلاتها في المغرب، ومن تعيين الولاة بين فترة وأخرى، فقررت إيجاد أسرة موالية لها في المغرب[٣].

وهكذا عيّن إبراهيم على أفريقية، وعاد محمد العكيّ إلى المشرق، بعد أن أقام عدة أيام في القيروان، نزولاً عند رغبة إبراهيم بن الأغلب[٤]. وفي طريق عودته إلى المشرق لقي في طرابلس حماداً السعوديّ رسول الخليفة الرشيد إلى أفريقية [٥]، فعمد محمد العكيّ إلى تزوير كتاب كتبه له داوود القيرواني [*]، بعزل إبراهيم وإقرار محمد العكيّ على أفريقية وأرسل الكتاب إلى القيروان[٦].

وعندما تسلم إبراهيم الكتاب، امتثل لما جاء فيه، فرجع إلى الزاب[٧]، وما أن علم الرشيد بذلك حتى أرسل كتاباً شديد اللهجة إلى محمد بن مقاتل العكيّ يأمره بالقدوم إليه[٨].

وعند ذلك خرج العكيّ (من أفريقية وأعمالها، على هذه الحال لم يكافيء إبراهيم بن الأغلب على حسن ما أسلفه في جانبه إلا بأقبح الأفعال)[٩].

فعاد إبراهيم ليدخل القيروان، وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة 184هـ/ الموافق للتاسع من أيلول سنة 800م[١٠]، وفي هذا التاريخ تأسست الدولة الأغلبية في أفريقية.

ويبدو أنَّ إبراهيم بن الأغلب على جانب عظيم من الشجاعة، ورجاحة العقل، الأمر الذي مكنه من إقناع الدولة العباسية بتأسيس دولة له ولذريته من بعده، وإقامة دولة بينه وبين الأدارسة في المغرب، تكون درعاً متيناً، ومنطقة حياد تحفظ امتداد حكمهم إلى دولة حاجزة.

---

(١) العبادي، في التاريخ العباسي، ص 92، وسيشار إليه فيما بعد: العبادي، في التاريخ العباسي؛ زكار، تاريخ العرب، ص 488.

(٢) الأصطخري، المسالك، ص 45؛ وانظر: بل، الفريد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بنغازي، ليبيا، 1969م، ص 89. وسيشار إليه فيما بعد: بل، الفرق الإسلامية؛ المطوي، محمد العروسي، سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي (ليبيا، تونس)، 1981م، ص23.

(5) Vonderhyden, Lberberie Orientale Sous Ladyastie Des Bonou, L, Arab – 800-900, Paris, 1937, P.8.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 220؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 127.

(٥) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 54؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 51.

(*) داوود القيروانيّ : كان كاتباً لمحمد العكيّ ثم ولي الكتابة لإبراهيم بن الأغلب لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الابار، أعتاب الكتاب، تح صالح الأشتر، دار الفكر: دمشق، 1961، ص 105-107.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 220؛ ابن الابار، الحلة السراء، ج 1، ص 94؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 54؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 127-130؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص52.

(٧) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221، ابن الابار، الحلة السيراء، ص 94-95.

(٨) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55.

(٩) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 91.

(١٠) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 221؛ مجهول، العيون والحدائق، ج 3، ص 303؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 55؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 128-129؛ سليمان، أحمد سعيد، معجم الأسر الإسلامية الحاكمة، مكتبة لبنان : بيروت، ط 1، 2004م، ص 28. وسيشار إليه فيما بعد: سليمان، معجم الأسر.

إنَّ اتفاق الدولة العباسية مع إبراهيم بن الأغلب كان اتفاقاً معقولاً، وحلاً سليماً لمشكلة حكم ولاية بعيدة واسعة، تضم طرابلس، وأفريقية (تونس)، والزاب، بعد أن بذلت الدولة العباسية جهوداً في المحافظة على هذا الجزء من أملاكها في الشمال الأفريقي.

وقد أيّد بنو العباس بني الأغلب خوفاً من اتساع الدولة الإدريسية، وتهديدهم سلطانهم في المشرق[١].

وكان الهدف الرئيس من الجهود التي بذلتها الدولة العباسية للمحافظة على أفريقية هو تأمين مصر ولايتها الكبرى في الغرب، فكان ولاة الدولة على مصر هم الذين يكلفون بقيادة الجيوش التي ترسل لحرب الخوارج في أفريقية، لأن ذلك كان من اختصاصهم، وكانت تلك الجيوش تدعم من أموال مصر، لأن ذلك حماية لها، وما دامت أفريقية سالمة خالصة للدولة العباسية، فإن ما يقع إلى غربها لم يكن ليقلق بال خلفاء بني العباس، خاصة وقد امتدت حدود أوليائها وأنصار المذهب السني إلى آخر حدود ولاية أفريقية غرباً[٢].

لقد كان ابن الأغلب يفخر في بعض أشعاره بأنه يكيد للأدارسة، ويعمل على القضاء عليهم[٣].

وبعد أن تولّى إبراهيم بن الأغلب أفريقية (تونس) كان لا بد له من القيام ببعض الأمور؛ لتثبيت حكمه، منها بناء مدينة العباسية الواقعة على بعد ثلاثة أميال من القيروان سنة 184هـ/800م[٤]، أمَّا ابن عذاري فيجعل بناءها سنة 185هـ/801م[٥] وقد سمّيت بهذا الاسم تيمناً بالخلافة العباسية[٦]، كما أطلق عليها أيضاً (القصر القديم)[٧]، وقد سمّاها البلاذريّ البلاذريّ بالقصر الأبيض وجعل بناءها سنة 184هـ/809م[٨].

فالخلافة العباسية كانت تهدف إلى أن تشكل الدولة الأغلبية بعاصمتها العباسية قوة مانعة أمام الرستميين بتاهرت (*)، وتحقيق طموحات الدولة العباسية في التصدي لتلك الدول الاستقلالية[٩].

ولم يكد إبراهيم يستقر حتى تمرد عليه بتونس سنة 186هـ/802م رجل يدعى خريش بن عبد الرحمن الكنديّ[١٠]، وسمَّاه الرقيق القيرواني بحمديس[١]، واكتفى ابن عذاري بتسميته

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص 258-259.

(٢) مؤنس، تاريخ المغرب، ص 259؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25-26.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 85؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص 259؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25-26.

(٤) البكريّ، المغرب، ص 28-29؛ ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 75؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص56.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص92.

(٦) المصدر نفسه، ج1، ص92؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص 53.

(٧) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 153-155.

(٨) البكريّ، المغرب، ص 28؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 92؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55؛ الحميري، الروض المعطار، ص 476؛

(*) تاهرت:مدينة من مدن المغرب الأوسط. لمزيد من التفاصيل، انظر : اليعقوبيّ، البلدان، ص 104؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 86. وعن بنائها، انظر : أبا زكريا ، سير، ص 81 وما بعدها؛ الدرجيني، طبقة المشايخ، ج1، ص 41؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج3، ص 261-276؛ بكير، بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب:جامعة بغداد، بغداد، العراق، 1983، ص 86-94.

(٩) كحيلة، المغرب، ص45؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 25، 33.

(١٠) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 101-104.

بالكنديّ(٢)، لكنه جعل تمرده في الوقت الذي بدأت فيه الحرب بين الأمين والمأمون (٣)، وقد خلع حمديس (خريش) السواد، أي أن هذا الأخير كان متمرداً على الدولة العباسية (٤)، دلالة على عدم الطاعة للدولة العباسية والتمرد عليها، ولكنّ هذا التمرد قضي عليه على يد عمران ابن مجالد أحد قادة إبراهيم بن الأغلب(٥).

وَمَا إن بدأ إبراهيم يستقر بعد قضائه على تمرّد حمديس(خريش)، حتى تمردت عليه منطقة طرابلس سنة 189هـ/805م، فقد ثار بها الجند على الوالي سفيان بن المضاء في ولايته الرابعة على هذه المدينة، حيث كانوا دائماً يشكون من ولاتهم فقد نصّبوا عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي مكانه (٦)، كما وقعت في المدينة نفسها حرب بين الأبناء (*) من جهة وبين بني أيوب وبني يوسف من جهة أخرى، لكن إبراهيم بن الأغلب، استطاع أن يُخمد هذا الوضع بعد أن استنجد بأحمد بن إسماعيل والي مصر (187-189هـ/802-804م)(٧). ثمَّ أمر بإحضار المتنازعين إلى القيروان، فسألوه الأمان، فقبل بعد أن أخذ منهم العهود(٨) وتمرد عليه كذلك قائده عمران بن مجالد سنة 194هـ/809م، واستولى على القيروان (٩)، وكاد الأمر يتفاقم إلى أكثر من ذلك لولا وصول الأموال من مصر إلى إبراهيم (١٠). فنودي أنه من كان من جند أمير المؤمنين فليأخذ عطاءه، فتفرق أصحاب عمران عنه، وهرب هو إلى الزاب(١١)، وبقي في الزاب إلى أن توفي إبراهيم، وصار الأمر إلى ابنه أبي العباس، فكتب إليه يسأله الأمان فأمنه، ثم قتله في عهد الأمير عبدالله بن إبراهيم 196-201هـ/811-816م(١٢)، كما تمرد على إبراهيم رجل يدعى (أبا عصام) لكن إبراهيم قضى على تمرّده(١٣).

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 224.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 93.

(٣) زغلول، تاريخ المغرب ج2، ص 34-35.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 224-225؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 159؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24،ص55.

(٥) عمران بن مجالد: أحد قادة جيش إبراهيم بن الأغلب، لمزيد من المعلومات حول ذلك، انظر: الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 2124؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55؛ البلاذريّ فتوح البلدان، ص 231؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 235؛ ولمعلومات عن ترجمة حياة عمران بن مجالد، انظر، ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 105.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص104.

(*) الأبناء: هم أبناء الجند المولودين في أفريقية سواء كانوا عرباً أم محليين أو من عرب حروب التحرير، ولم ينخرطوا في الصفوف العسكرية. انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 34-35.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 124.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 196؛ سالم، المغرب الكبير،ج2، ص 376؛ الزاوي، الطاهر أحمد، ولاة طرابلس، دار صادر : بيروت، 1970م، ص 57، البرغوثي، عبد اللطيف، تاريخ ليبيا الإسلامي (من الفتح الإسلامي حتى بداية الفتح العثماني)، دار صادر: بيروت، 1973م، ص 201.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 55، لكن ابن الأثير لا يذكر السنة.

(١٠) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ علي حين يشير كل من ابن الأثير في الكامل، ج 6، ص 156، ج5، ص 328 وابن خلدون في العبر، ج 4، ص 235 : بأن الأموال حملت من الرشيد إلى إبراهيم ونحن نعلم أن الرشيد توفي سنة 193هـ/808م.

(١١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 104؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 163-172.

(١٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 56.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 104-105.

ولم تهدأ الأوضاع في منطقة طرابلس، فقد حدثت الاضطرابات فيها كذلك سنة 196هـ/802م(١)، ما حدا بابراهيم إلى إرسال ابنه إليها، وفعلاً دخل عبدالله طرابلس، واشتبك مع عبد الرحمن بن رستم امام الخوارج الأباضيين في تاهرت(٢).

وكان لحركات التمرّد في عهد إبراهيم أسباب كثيرة منها الخروج عن الطاعة، والطموح الذي كان يسعى إليه بعض القادة، أو بسبب الخوارج القاطنيين في منطقة طرابلس الذين كثيراً ما أحدثوا الاضطرابات في هذه المنطقة، ولم تهدأ هذه الاضطرابات من قبل الخوارج إلا سنة 283هـ/896م، ولم تكن فترة عبدالله بن إبراهيم (*) صعبة وشاقة إذ لم يحدث في عهده ما يستحق الذكر، إلا أن العبء الأكبر في تثبيت الدولة الأغلبية، والدفاع عنها وقع على عاتق أخيه زيادة الله بن إبراهيم(*) 201-223هـ/816-837م (٣).

فقد قامت العديد من حركات التمرُّد ضدَّه، منها تمرُّد زياد بن سهل سنة 207هـ/822م الذي يُعرف (بابن الصقلبية) الذي خرج بموضع يُعرف بفحص أبي صالح، وهو قريب من منطقة باجة التي حاصرها، لكن هذه الثورة انتهت سريعاً على يد سالم بن سوادة قائد زيادة إلله الأغلبي، الذي تمكن من فك حصار باجه، وقتل كثيراً من أصحابه الذين خالفوا معه، وغنم أموالها(٤)، ويبدوا أن سبب هذا التمرد سوء سيرة ومعاملة زيادة إلله بن إبراهيم بن الأغلب للجند(٥).

لكنَّ هذا التمرد قضى عليه من قبل سفيان بن سوادة قائد جيش زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب(٦)، وتمرد عليه كذلك عمرو بن معاوية سنة 208هـ/823م، لكن هذا التمرد قضي عليه، وقتل عمرو مع ولديه على يد زيادة الله بن إبراهيم(٧).

---

(١) ابن الأثير ، ج5، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 197؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص 55.

(٢) ابن عبد ربه، ابا عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، بولاق : القاهرة، 1940م، ج2، ص 391. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد ربه، العقد؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93؛ البغدادي، الفرق، ص 103 وما بعدها؛ ابن حزم، جمهرة، ص 18؛ دبوز، تاريخ المغرب، ج 2، ص 138 وما بعدها؛ اسماعيل، الخوارج، ص 220.

(*) عبدالله الأول بن إبراهيم بن الأغلب (196-201هـ/811-816م) ولاه أبوه بعده أي اتبع طريق الوراثة في الحكم، وكان سيء السيرة، حتى أغضب أهل بيته، وأهالي أفريقية، واشتط في جمع الضرائب، وكانت معاملته للأهلين تنطوي على كثير من العنت والجور، مات سنة 201هـ/816م. انظر : ابن عذاري، البيان، ج1، ص 95 وما بعدها؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص 26.

(*) زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، 201-223هـ/816-837م. تولى السلطة بعد وفاة أخيه عبدالله عام 223هـ/837م في أول أيام المأمون، وكان أطول الأغالبة عهداً بالحكم وكان يميل إلى الظلم والجور، ويمتاز عهده بقيام بعض الثورات ومحاولة فتح جزيرة سردينية ثم فتح جزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط. انظر : ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63-64؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص 65-66؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 26.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 166،167؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 63؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص 65.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص184-185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 97؛ وقارن ابن خلدون، العبر، ج4، ص236.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص96.

(٦) ابن عذاري ، ج 1، ص 96-97؛ وانظر: زغلول ، تاريخ المغرب، ج 2، ص 44؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 183-185.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص97-98؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 185-189.

ويبدو أنَّ سياسة زيادة الله التي تتسم بالعنف، تعدّ من الأسباب أهمّ التي أدّت إلى تمرد الكثيرين عليه، وأكبر تمرد واجهه هو الذي قاده منصور بن نصير الطنبذي [١] (سنة 208هـ/823م)[٢].

وكاد هذا التمرد أن يطيح بالدولة الأغلبية حتى أن زيادة الله بن إبراهيم لم يبق بيده إلا الساحل وقابس[٣]، وتعدَّى الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد سك منصور نقوداً باسمه، وضرب على النقد الذي أصدره اسم أفريقية، وذلك دليل على مدى قوته وما استولى عليه من البلاد، بل غيّر كلمة (غلب) الذي هو شعاراً الأغالبة إلى كلمة (عدل)، واتخذ هذا اللفظ شعاراً لتمرده[٤]، وهكذا كاد منصور أن يقيم دولة مستقلة عن بني الأغلب[٥]، ولكن انقسام المتمردين المتمردين على أنفسهم، بعد مقتل منصور سنة (211هـ/826م)[٦] على يد أحد قواده، وهو عامر بن نافع، حال دون تحقيق ذلك، ولم ينته هذا التمرد إلا بعد وفاة عامر سنة 214هـ/829م، فلما سمع زيادة الله بن إبراهيم بذلك قال (الآن وضعَت الحرب أوزارها)[٧].

ولم يكن عصيان منصور آخر تمرُّد حصل في عهد الأمير زيادة الله، فقد تمرد عليه كذلك رجل يدعى فضل ابن ابي العنبر (سنة 218هـ/834م) في تونس، لكن زيادة الله تمكن من قمع تمرده[٨]، ويبدو أن قوة زيادة الله وشدته ومقدرته على قمع كل التمرُّدات التي حصلت حصلت ضدَّه قد هيأت فترة من الهدوء السياسي في عهده، وقد خلفه الأمير أبو عقال الأغلب بن إبراهيم 223-226هـ/837-840م[٩].

وباستثناء الحملة التي أرسلها ضد قبائل لواته، وزواغة، ومكناسة، الموجودة بين قفصه وقسطيلية[١٠]، وذلك سنة 224هـ/838م، بقيادة عيسى بن ريعان الذي

---

(١) خرج الطنبذي، منصور بن نصر على زيادة الله سنة 209هـ/824م. ومنصور هذا كما يقول ابن الابار في الحلة السيراء، هو من قبيلة هوزان من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطنبذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة، من إقليم المحمدية بالقرب من تونس. انظر: البكريّ، المغرب، ص 38؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص 43.

(٢) ابن الآثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ وجعل ابن عذاري هذا التمرد سنة 209هـ/824م، انظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص 98.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 19.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 98-99؛ ابن أبي الضياف، اتحاف، ج 1، ص 106؛ وانظر : عبد الوهاب، حسن حسني، ورقات من الحضارة العربية بأفريقية التونسية، الدار التونسية: تونس، 1964، ج1، ص 430، وسيشار إليه فيما بعد : عبد الوهاب ، ورقات؛ ابن قربة، صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، 1986، ص 247؛ وسيشار إليه فيما بعد : ابن قربة، المسكوكات.

(٥) ابن قربة، المسكوكات، ص 247.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185-186.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 167.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 98-99؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 46-60؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 190-229.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 252-253؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107؛ ابن خلدون، العبر، ج3، ص 383؛ (ويسميه ابن أبي العين)، وانظر : سالم، المغرب الكبير، ج3، ص 383؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 62؛ الدولة الأغلبية، ص 232-234. وأبو عقال (الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب وهو أخو زيادة الله وتولى السلطة من 223-226هـ/837-840م بعده ابنه محمد الأول بن الأغلب (226-242هـ)، حيث انهى أبو عقال فتح صقلية واختط قصره، وفي أيامه عصى أهل تونس، فغار عليهم وسبى منهم خلقاً كثيراً وفي أيامه فتحت مدينة (بانه) في صقلية وبني بها مسجداً. انظر: ابن أبي دينار، المؤنس، ص 64-65؛ وانظر: عبد الوهاب، خلاصة، ص 68؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 27.

(١٠) ابن عذاري، البيان، ج1، ص107؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 239.

انتصر عليها[١]، وكانت هذه القبائل الموجودة في تلك المنطقة من الخوارج الإباضية، الذين كانوا غالباً ما يثيرون القلاقل ضد دولة الأغالبة[٢].

وفي عهد أبي العباس محمد الأول بن الأغلب (226-242هـ/840-85م)[٣]، وأحرقت وأحرقت العباسية عاصمة الأغالبة من قبل الرستميين سنة 239هـ/853[٤]، ونلاحظ في عهده ملاحظة لم تعهدها من قبل وهي تغلب أخيه أحمد بن محمد على الحكم سنة 231هـ/845م[٥]، ما يشير إلى وجود خلافات بين أفراد الأسرة الأغلبية الحاكمة. لكن الأمير الأمير محمد استطاع أن يسترد الأمور من يد أخيه (سنة 232هـ/846م)[٦]، ولكنَّ عهده لم يخل من بعض الثورات والتمرُّدات الأخرى، فقد حدث تمرُّد ضدَّه (سنة 233هـ/847م)، قاده سالم بن غلبون الذي استغل حالة النزاع بين الأخوين [٧]، ولكن هذا التمرد قضى عليه بقيادة خفاجة بن سفيان أحد قادة الأمير محمد، ودفع سالم بن غلبون حياته ثمناً له[٨].

ولم تكد الأمور تهدأ للأمير محمد حتى تمرد عليه عمرو بن سليم التجيبي (القويع) في تونس سنة 234هـ/848م[٩]، ودام تمرده سنتين حتى انتهى بمقتله[١٠].

وامتنع السكان في منطقة طرابلس في عهد الأمير أبي إبراهيم أحمد بن محمد[*] (242-249هـ/856-863م في سنة 245هـ/859م) عن دفع العشور والصدقات، فأرسل أخاه زيادة الله الثاني[*]، فعادوا إلى الطاعة[١١].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص107؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص239.

(٢) الزاوي، تاريخ الفتح، ص 216؛ سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 393؛ وانظر:زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 75-76؛ الدولة الأغلبية، ص 242-243.

(٣) الزاوي، تاريخ الفتح، ص 216؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 393.

(٤) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 231؛ وانظر: اسماعيل، الخوارج، ص 52.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 108.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 63؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 245-254.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 40؛ وانظر:زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 83-84.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 109، 110؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 264.

(٩) ابن الأثير ، الكامل، ج5، ص 282.

(١٠) ابن الأثير ، ج5، ص 282؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 84-85؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 265-268.

(*) في سنة 242هـ/856م توفي محمد بن الأغلب بعد أن حكم خمسة وعشرين سنة وثمانية أشهر واثني عشر يوماً فخلفه ابنه أحمد (242-249هـ/856-863م) وكان كما يقول ابن عذاري كان محمد حسن السيرة، كريم الأخلاق والأفعال، من أجود الناس وأسمعهم وأرفقهم بالرعية، وفي أيامه منح الإمام أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي (ولد سنة 160هـ) أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويتظاهرون بمذاهبهم مثل: الإباضية والصفرية والمعتزلة فمنعهم سحنون من الاجتماع. انظر: النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 66؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 64؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص 165؛ وفيقة؛ نشوء الدويلات، ص 27؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 68.

(*) زيادة الله الثاني: زيادة الله الثاني محمد بن إبراهيم بن الأغلب (249-250هـ/863-864هـ) وكانت ولايته سنة وستة أشهر حسب رواية ابن أبي دينار القيروانيّ في المؤنس. وكذلك انظر : ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107وما بعدها؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 65-66؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 165-166؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 68-69؛ وفيقة، نشوء الويلات، ص 27.

(١١) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 91؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 66ص (لا يذكر السنة)؛ ابن خلدون، العبر، ج24، ص 240 وانظر : الزاوي، تاريخ الفتح، ص 217-218؛ سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 398، زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 100.

كما لاحظنا أن الاضطرابات كانت تحدث دائماً في منطقة الزاب، لأن سكانها كانوا موالين للدولة الرستمية، ويعملون دائماً على إثارة المشكلات ضد دولة الأغالبة، وقد حدث اضطرابات في المنطقة المذكورة في عهد الأمير أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (أبي الغرانيق) [١]، الذي حكم من (250-261هـ/864-874م)، ما اضطره إلى إرسال خفاجة بن محمد بن إسماعيل لقتالهم ولكن هذا القائد قتل على يد المهلب بن صولات، وهو من قبائل هوارة، فانسحب الجيش الأغلبي إلى مدينة طبنة منهزماً[٢].

وبعد أن تسلم الأمير إبراهيم بن أحمد الحكم (261-289هـ/874-901م)[٣] بدأ ببناء عاصمة له سماها رقادة[*]، وذلك سنة 263-264هـ/876-877م)[٤].

وفي سنة 265هـ/878م فكر العباس بن أحمد بن طولون بالاستقلال عن والده بإمارة يقتطعها لنفسه في برقة، ويضيف إليها طرابلس، والأقاليم الشرقية من إمارة الأغالبة.

وانتهز العباس فرصة غياب والده أحمد بن طولون في الشام وقام بانقلاب أيّده فيه كبار القادة، واستولى على ما كان في بيت المال في مصر، وقبض على وزير والده، وقيده، وأخذه إلى برقة[٥]، التي وصل إليها في ثمانمائة فارس، وعشرة آلاف راجل من السودان، وخمسة آلاف جمل[٦].

وأخذ العباس يراسل رؤساء القبائل البربرية في طرابلس، فاستجاب له بعضهم، لأنهم كانوا يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية، ولأنهم كانوا يدينون بمذهب الخوارج الإباضية، وتقول رواية ابن الأثير أن العباس حاول التغرير بإبراهيم بن أحمد، وكتب إليه

---

(١) أبو الغرانيق: لقب بهذا الإسم لأنه كان يهوى صيدها، انظر : ابن عذاري، ج 1، ص 114؛ والغرانيق: طيور مائية عريضة الجناح ، طويلة الساق، انظر : النويريّ : نهاية الأرب، ج 22، ص 272، هامش رقم (39).

وكان أبو الغرانيق: محمد الثاني بن أحمد قد تولى من 250-261هـ/864-874م وقد وصفه ابن عذاري في هذه العبارة (أنه كان مسرفاً في العطاء مع حسن سيرته ثم غلبت عليه اللذات، وكان متابعاً في عهده لفتح صقلية، ويقول ابن عذاري أن الحرب التي وقعت بين المسلمين والروم في صقلية 255-259هـ وقد عاصر الخلفاء العباسيين، المستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد. انظر: ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 107وما بعدها؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 65-66؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 165-166؛ عبد الوهاب، خلاصة، ص 68-69؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 27.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 114؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 67؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 283-289.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 170-172؛ وانظر : حسن، حسين، أعلام تميم، ط 1، دار صادر: بيروت، 1980م، ص 35-37؛ وعن ترجمته وكيفية توليته الإمارة، انظر : ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص5؛ ابن عذاري،البيان، ج1، ص 116؛ النويريّ، ج22، ص 274.

(*) رقادة: بينها وبين القيروان مسيرة أربعة أيام، هواؤها طيب وتربتها خصبة، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص55.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 16؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 117؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 69؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص 27؛ ابن دينار، المؤنس، ص 52؛ وعن رقادة، انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص 55-56؛ الحميري، الروض المعطار، ص 271.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 392؛ نبيلة، محاضرات، ص 203؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب، ج2، ص120.

(٦) الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 392؛ نبيلة، محاضرات، ص 203؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 120.

يقول: (أن أمير المؤمنين قلدني أم أفريقية وأعمالها) [١]. ودخل العباس بن طولون إلى لبدة شرق طرابلس، وأرسل إبراهيم بن أحمد الأغلبي قائده أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس، ودخل طرابلس قبل وصول العباس إلى منطقة لبدة، وهزم أحمد بن قرهب، ودخل الجيش الطولوني لبدة سنة 266هـ/871م[٢].

وفوجئ العباس وجيشه بالإباضية من بربر نفوسه بقيادة زعيمهم إلياس بن منصور الذي غضب لما حل بأهل طرابلس، وانسحب العباس محاولاً العودة.

وكانت الدولة العباسية تراقب الأحداث عن بعد، ولم تحرك ساكناً، ولم يكن لها أي دور في ذلك، لأن الدولة الأغلبية في نظرها هي التي ستكون السد المنيع بينها وبين أطماع الدول الاستقلالية الأخرى.

وقد تعرضت البلاد (أفريقية) في عهده إلى غزو قام به العباس بن أحمد بن طولون والي مصر، لكن هذا الغزو باء بالفشل، وسحق معظم جيش العباس[٣].

كما حدثت في سنة (275هـ/888م) حركة كان سببها إصلاح مالي للنقد قام به إبراهيم وسميت (ثورة الدراهم)[٤]، فقد عمد إبراهيم إلى ضرب دراهم صحيحة، ومنع ما كان يتعامل به من الدراهم التي كانت تقطع إلى أجزاء صغيرة، كالأنصاف، والأثلاث،والأرباع [٥]، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإرباك في عملية المقايضات، فاستطاع الأمير إبراهيم أن يقضي عليه بالدراهم الصحيحة التي ضربها، وكانت خالصة العيار، فأصبح كل عشرة دراهم تساوي ديناراً ذهبياً فسمِّيت (بالعاشرية)[٦].

ولم يرض التجار عن هذا الإصلاح، لأنه كان سيؤدي إلى تقليل أرباحهم بسبب اختفاء هذه القطع في تعاملهم اليومي [٧]، فقاموا بالتمرد، لكنهم قمعوا، وتم إسكات ثورتهم بالقوة [٨]، واستقر الإصلاح النقدي المذكور منذ سنة (275هـ/888م)، وصارت نقود أفريقية الذهبية والفضية تؤخذ صرفاً لا وزناً.

ويبدو أنَّ سياسة إبراهيم التي اتصفت بالقسوة والشدة، كانت سبباً في حدوث بعض التمردات الأخرى عليه في تونس [٩]، إذ بلغت هذه التمردات درجة كبيرة من القوة بحيث لم يبق في يده إلا الساحل والشرق من طرابلس [١٠]. ويذكرنا هذا الموقف العصيب الذي مر به إبراهيم بأيام زيادة الله الذي خرجت من يده كل أفريقية إلا بعض المناطق، عندما تمرّد عليه

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 204.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 205؛ أبو دياك، صالح محمد فياض، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب (144-296هـ/761-909م)، مجلة دراسات تاريخية، السنة 17، ع 55-56، آذار-حزيران، 1996م،/ جامعة دمشق، سوريا.

(٣) الكنديّ، الولاة، ص 222؛ وانظر فيما بعد ص 101، 102؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 101-102.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 120.

(٥) عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 432؛ ابن قربة، المسكوكات، ص 237.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 121؛ وانظر: ابن قربة، المسكوكات، ص 237-238.

(٧) عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 432؛ ابن قربة، المسكوكات، ص 237-238.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 120-121؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 412؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 326؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، 128-129؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 304-305.

(٩) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص123؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 72-73 ويجعلها سنة (278هـ/890م).

(١٠) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 123.

منصور الطنبذي[١]، ولكن إبراهيم بقوته وبطشه استطاع التغلب على هذه التمردات وقمعها جميعاً[٢]، أما خليفتاه وهما ابنه عبدالله (290-291هـ/902-903م) وحفيده زيادة الله الثالث الثالث (291-296هـ/903-908هـ)[٣]، فقد انشغلا في مقاومة أبي عبدالله الداعي الفاطمي[٤]، الذي تمكن من دحر جيوش الأغالبة، فسقطت على يديه الدولة الأغلبية (سنة 296هـ/908م)[٥].

- **المبادئ التي نادوا بهـــا :**

وفي الوقت الذي تأسست فيه دولة الأغالبة في المغرب كانت هناك دولتان أخريان مستقلتان هما:

دولة الرستميين الخوارج في شرقي المغرب الأوسط (الجزائر) 137-297هـ/754-909م، ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى (فاس) 172-375هـ/788-985م، وكان لكل من هذه الدول مبادئها وأسسها التي قامت عليها، ودورها الذي قامت به في صنع تاريخ المغرب الإسلامي.

ولكن دولة الأغالبة تتميز عن هذه الدول بأنها كانت ممثلة للدولة الإسلامية العامة (العباسية) في المغرب، ومواصلة لسياسة تلك الدولة العامة، وهي المحافظة على وحدة الإسلام، دولة الإسلام (الجماعة، والتمسُّك بالسنة)، في حين كانت بقية دول المغرب المعاصرة لها لا تتفق والدولة العباسية لا مذهبياً ولا سياسياً بل معادية لها، وهذا هو الذي جعل دولة الأغالبة القاعدة الكبرى للإسلام والعرب في المغرب في ذلك العصر[٦].

وكان قيام الدولة الأغلبية نتيجة مباشرة لنشاط الطالبيين والخوارج في أفريقية، فبعد مقتل عامل القيروان عمرو بن حفص على يد الخوارج كادت ثورات هؤلاء أن تطيح نهائياً بالحكم العباسي في تلك البلاد، إذ أن المنصور أرسل حملة بقيادة يزيد بن حاتم، ليتمكن من إعادة الهدوء، وإقرار الأمن لبعض الوقت في هذه الولاية، إلا أن خطر الخوارج عاد بصورة أشد في عهد الخليفة هارون الرشيد، وبدأ واضحاً أن المغرب كله يسير بكامله في اتجاه الاستقلال، وعلى ذلك فقد وجد الخليفة أن مصلحة الدولة تقتضي بأن يبحث عن شخصية قوية تتولى أمر المغرب، وتحافظ على ارتباطه بالسلطة المركزية[٧].

ولذلك اعتبرت ولايته ضمن الدول المستقلة التي قامت في الدولة العباسية، وكل ما يربطه بالدولة العباسية هو مبدأ تأدية ما عليه من الخراج إلى بيت المال، والمحافظة على

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 123.

(٢) المصدر نفسه، ج 1، ص 123-124 و ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 73؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 136-140؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 318-323.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 174-178.

(٤) أبي عبدالله: هو أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الداعي لنشر المذهب الفاطمي في المغرب. والذي استطاع أن يسقط الدولة الأغلبية وباقي دول المغرب العربي، وأقام أركان الخلافة الفاطمية، انظر : القاضي النعمان،ابن حيون أبا حنيفة، النعمان بن محمد، افتتاح الدعوة، تح ، فرحات الدشراوي، الدار التونسية : تونس، 1975م، ص 30، وسيشار إليه فيما بعد : القاضي النعمان، افتتاح.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 130، 131، 132، 133؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 3، ص 168، 191؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 53-54؛ وانظر: سالم، المغرب الكبير، ج2، ص 43 وما بعدها؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 57، ص 163-168،164، وما بعدها ص 562 وما بعدها، الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 591 وما بعدها.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 259. وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 29.

(٧) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209-221؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 360-366.

الإجراءات الرسمية المتعلقة بالخليفة، أما ما عدا ذلك فكانت دولة الأغالبة مستقلة استقلالاً تاماً[١].

وهكذا قامت هذه الدولة كرد فعل مباشر من جانب الخلافة العباسية على نشاط الخوارج، وقيام دولة الأدارسة في المغرب والوقوف بوجه امتداد نشاط الأدارسة نحو المشرق[٢].

ولم يخيِّب إبراهيم بن الأغلب ظن الرشيد، فقد كان من أنجح الولاة، وأكثرهم كفاءة، فقد استطاع تطبيق المبادئ التي نادى بها، وأن يدفع عن ولايته الخطر المتمثل بالأدارسة، وإمداد الحكم المركزي بالعائدات المالية المرتفعة التي جاءت نتيجة سياسته الاقتصادية الناجحة، وفي الوقت نفسه كانت مبادئه تتمثل في عدم اخفاء طموحه بإنشاء دولة وراثية شبه مستقلة، وانسجاماً مع هذه المبادئ والطموحات اتخذ ابن الأغلب لدولته عاصمة جديدة بالقرب من القيروان، ونستطيع القول أن من المبادئ التي نادى بها ابن الأغلب هوعدم قطع الصلة التي تربطه بالعباسيين [٣]، وقد اعترف العباسيون بالطابع الوراثي للدولة الأغلبية القائمة في القيروان[٤].

ومن المبادئ التي نادى بها الأغالبة مبدأ الجهاد، ونشر الإسلام خارج أفريقية، لذلك فإن أهم عامل دفع الأغالبة لفتح صقلية سنة 212هـ/827م هو عامل الجهاد في سبيل الله[٥]، وما وما تولية أسد بن الفرات [*] قائداً لهذه الحملة إلا دليل على صفتها الجهادية ومبدأ أساسي نادت به الدولة الأغلبية[٦].

وأصبح الاعتزال مذهباً رسمياً لدولتهم، ولأسباب تخص الساحة الداخلية، المحافظة على التوازن بين المعتزلة القليلي العدد وبين السكان المحليين الأكثر عدداً، إذ كانت الوزارة من نصيب المالكية، بينما تولى القضاء معتزلي وفي ذلك قال عياض:

---

(١) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص 209 وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 116، 160؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 93، ص 163–182؛ انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 360–366.

(٢) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص 209 – 221؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 93، ص 163–182؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 360–366.

(٣) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص 209–221؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104، 105؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 116–160؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 70، 71؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 360–366؛ نبيلة، محاضرات، ص 172.

(٤) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص 209؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 360 وما بعدها.

(٥) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص 370؛ انظر: سالم، تايخ المغرب، ص 300؛ المدني، أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، (د.مط) الجزائر ط2، 1985م، ص 56. وسيشار إليه فيما بعد: المدني، المسلمون.

(*) أسد بن الفرات: قاضي القيروان وقائد جيش الأغالبة الذي أرسل لفتح صقلية وذلك يوم السبت من ربيع الأول سنة 212هـ/نيسان سنة 827م، وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد جيش الحملة التي أرسلت لفتح صقلية، انظر : ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 102؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 2، ص 381؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 49؛ حول عناصر الحملة انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 217–218؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 457.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ص 186–187؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 22، ص 460؛ وانظر: المدني، المسلمون، ص 58؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 445–451.

(ولما أراد محمد بن الأغلب (محمد الأول) أن يولى سحنون [*]. جمع الفقهاء والعلماء للمشورة فأشار سحنون بسلمان بن عمران، وأشار سليمان بسحنون، وأشار غيرهم بسليمان، فادخلوا فرادى، فقال كقولهم الأول، وذلك أن أكثر الفقهاء اذ ذاك على رأي الكوفيين، وكان سليمان يرى رأيهم، فقال سليمان: (ما ظننت أنه شاور في سحنون، صححت فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم، وما يستحق أحد القضاء و(سحنون حي)[١].

ورفع الأغالبة راية الكتاب والسنة في الحكم، ودليل ذلك أن الأغالبة أظهروا اتباع المذهب الصفري بالقيروان، فالقاضي سحنون الذي ولّي قضاء القيروان سنة 234هـ/848م عمد إلى تفريق حلقاتهم ومنعهم من مزاولة التعليم في المساجد كما اتهموا بالزندقة[٢].
وتشير المصادر إلى أن أمير سجلماسه اليسع بن مدرار (270-297هـ/883-909م) قام باعتقال أبي محمد عبدالله المهدي[*] ، تنفيذاً لرغبة كل من الخلافة العباسية والأغالبة[٣].

واستطاع الأغالبة خلال خمس وسبعين سنة من الجهاد أن يسيطروا على صقلية 189-264هـ/805-877م، وقد كانت لتلك الفتوحات نتائج اجتماعية واقتصادية وثقافية على صقلية، فقد غدت هذه الجزيرة جسراً عبرت منه الثقافة العربية إلى أوروبا[٤].

ولم تقتصر مهمة الدولة الأغلبية على سياسة الدفاع عن هذه المنطقة ضد الأدارسة والخوارج الرستميين، وإنما كان لها جهود ضخمة على صعيد المجابهة مع البيزنطيين، ذلك أن ابن الأغلب أولى الأسطول البحري اهتماماً، وتمكن من إيقاف الخطر البيزنطي على

(*) الإمام سحنون: أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، ولد بالقيروان 160هـ وتلقى العلم بأفريقية عن علي بن زياد وأسد بن الفرات، ثم توجه في طلب العلم إلى المشرق سنة 188هـ / فزار مصر والحجاز والشام، ووكيع بن الجراح وغيرهم، وعاد إلى بلده سنة 191هـ، فأظهر بها علم أهل المدينة، ومذهب مالك بن أنس، ولما اشتهر سحنون وذاع صيته، راوده الأمير ابو العباس أحمد بن الأغلب حولا كاملاً عن خطة القضاء حتى قبل منه الولاية سنة 234 هـ على شروط منها اطلاق يده في تنفيذ الأحكام الشرعية على أقاربه عن بني الأغلب ورجال دولته، ومنها الزام المتنازعين من البيت المالك بالحضور لديه مع الخصوم، فقبل أحمد الشروط كلها، وانتصب سحنون للقضاء وباشر الحسبة والمظالم بنفسه ولقب بسراج القيروان. وله كتاب (المدونة الكبرى) جمع فيه مسائل الفقه على مذهب مالك بن أنس توفي في 6 رجب سنة 240 هـ في أيام حكم محمد بن الأغلب ودفن بالقيروان انظر : المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص 272-273؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص 69-70؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 264-265.

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج 1، ص 272 وما بعدها؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 264 وما بعدها.

(٢) أبو العرب، طبقات، ص102؛ المالكيّ، رياض النفوس، ج1، ص 272-273؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد التلمساني الغرناطي، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانه، الرباط، المغرب، 1976، ص180-181. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، معيار الاختبار؛ وانظر: اسماعيل، الأغالبة، ص 101.

(*) ابو محمد عبدالله المهدي، هو أول خليفة فاطمي بويع بالخلافة في 21 ربيع أول سنة 297هـ/909م. ابن عذاري، البيان، ج1ص 166؛ انظر: اسماعيل الأغالبة، ص 101 وما بعدها، قاسم، الحياة الثقافية، ص 109؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص 28.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص 38؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، تح جمال الدين الشيال، بولاق، القاهرة، 1967م، ص 45. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، اتعاظ الحنفا.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 102؛ مجهول، العيون والحدائق، ج 3، ص 37؛ وانظر: المدني، المسلمون، ص 61؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 455 وما بعدها.

السواحل الأفريقية، وكان أبرز نتائج هذه السياسة سقوط جزيرتي صقلية سنة 212هـ/740م ومالطة سنة 261هـ/877م في أيدي الأمراء الأغالبة الذين جاءوا بعد ابن الأغلب(١).

وكان إبراهيم بن الأغلب الذي تولى حكم دولة الأغالبة عام 184هـ/800م سبباً في إعادة الأمن إلى الجزائر الشرقية، وتونس، وأسس دولته التي سميت باسمه، ودامت قوية إلى أن قضى عليها أبو عبدالله الشيعي عند الدعوة للفاطميين عام 296هـ/908م(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة الأغلبية، ومنذ قيامها قد التزمت بعدد من المباديء التي نادت بها، وتعهدت بالبقاء على الطاعة والولاء للدولة العباسية، وقد وافقت هذه الأخيرة على أن تجعل الولاية وقفاً على أهل بيت ذلك الرجل، يتوارثونها فيما بينهم ما داموا على الولاء الكامل للبيت العباسي(٣).

ومن المبادئ التي نادى بها الأمير إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-812م) مع ما كانت الدولة العباسية تسعى إليه من وضع أمور أفريقية في أيدٍ أمينة، وتستريح من تكاليف نفقاتها عليها، وعلى هذا تم الاتفاق بين الرشيد وإبراهيم الأغلب، إذ أن الرشيد ولى إبراهيم بن الأغلب منطقة تونس، واعترف به أميراً مستقلاً بإمارته تحت ظل الخلافة العباسية(٤).

ومما سبق نستطيع القول إن الدولة الأغلبية مرت بثلاث فترات هي(٥):

الفترة الأولى: فترة التأمين من عام 184-223هـ/800-838م، وتشمل الأغلب وابنه العباس عبدالله، وزيادة الله الأول.

الفترة الثانية: فترة الاستقرار والازدهار، وهي من 226-289هـ/840-902م، وتمتد من حكم زيادة الله إبراهيم بن الأغلب (الأول) من عام 201هـ/816م إلى نهاية حكم أبي عبدالله محمد الثاني، ثامن أمراء البيت الأغلبي الملقب (بأبي الغرانيق) وذلك عام 261هـ/875م.

الفترة الثالثة: فترة التدهور والأفول، تبدأ من حكم إبراهيم بن أحمد 289-296هـ/902-909م، وفي كل الفترات التي دامت بها الدولة الأغلبية تبنت عدة مبادئ منها: الحفاظ على مذهب أهل السنة والجماعة، وإحياء روح الجهاد والفتوحات، والبقاء في نطاق الأمة الإسلامية، والمحافظة على الطابع الإفريقي، والمحافظة على نشر اللغة العربية والروح الإسلامية الصادقة، والاهتمام بالعلم، والفقه، ورعايته والعلماء والفقهاء(٦).

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209-210؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 102-117؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 93-101؛ ص 163-182.

(٢) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 209؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 116؛ ؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج2، ص167.

(٣) الرقيق، تاريخ أفريقية، ص 210-211؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، 116؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص 169.

(٤) الباروني، مختصر، ص 30؛ وانظر: معمر، ص 23؛ وانظر: السامرائي، إمامة الدفاع، ص 97-98؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص 169.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 200؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج2، ص 168.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 200؛ وانظر: الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص 168.

▪ موقف السكان المحليين من دولة الأغالبـــة :

كانت تسكن أفريقية (تونس) التي أقام بها بنو الأغلب دولتهم مجموعات سكانية عديدة أهمها:

1. العرب: وهم القبائل العربية التي دخلت أفريقية في حروب التحرير العربية، فعلى سبيل المثال دخل مع حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية سنة (74هـ/693م) نحو أربعين الف مقاتل(١).

كما دخل المغرب مع كلثوم بن عياض (123هـ/740م) نحو ثلاثين الفاً من العرب، بقي منهم عشرة آلاف من الجند الشاميين (٢)، ووفد كذلك إلى المنطقة مع محمد بن الأشعث الذي ولّي أفريقية (سنة 142هـ/759م)، حوالي عشرة آلاف عربي(٣)، كما دخل أفريقية مع يزيد بن حاتم سنة 154هـ/770م ستون ألفاً من العرب(٤)، وقد استقر هؤلاء العرب في مدن أفريقية كتهودة، وطبنة، وبلزمة، وباجة(٥).

أمَّا الجند الذين أطلق عليهم اسم الخراسانيين فينتمون إلى أصول عربية، فكما هو معروف فقد هاجر نحو خمسين ألف عائلة عربية من الكوفة والبصرة، وسكنت خراسان منذ عهد معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/60-679م)(٦)، وأطلق عليهم اسم خراسان، لسكناهم لسكناهم فيها، ومن أعقاب هؤلاء جاء أولئك الذين سكنوا أفريقية(٧).

وكان معظم عرب أفريقية جنداً يستنفرهم الأمراء في أوقات الحرب، ولكن هؤلاء الجند كانوا كثيراً ما يعلنون ثوراتهم على الأمراء والعمال في مدن أفريقية، ويشكلون بذلك خطراً جسيماً على دولة الأغالبة(٨).

وقد عانى إبراهيم بن الأغلب من ثورات الجند كثيراً، ففي عام 186هـ خرج عليه حمديس الكنديّ، ونزع شعار العباسيين (السواد)، كما ثار عليه عمران بن مجالد وهدد ابن الأغلب، ولذلك عمّد ابن الأغلب إلى اصطناع العبيد، واستكثر من طبقاتهم(٩).

2. العجم (الفرس): أشار اليعقوبيّ إلى جماعات من المشارقة تضم عرباً وعجماً كانت تسكن بلاد أفريقية، ويقصد اليعقوبيّ بالعجم الفرس الذين قدموا من خراسان وفارس مع ولاة بني العباس على أفريقية(١٠).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 34.

(٢) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تح عبدالله أنيس الطباع، طبعة دار النشر، بيروت، 1958م، ص 40-41. وسيشار إليه فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ افتتاح؛ وانظر: حتاملة، جيل المولدين، ص 58 وما بعدها؛ مؤنس، فتح العرب، ص2؛ سالم، تاريخ المغرب، ج2، ص 125-126.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص39.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 159.

(٥)البكريّ، المغرب، ص 72.

(٦) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 396؛ البكريّ، المغرب، ص 72، 73.

(٧) البلاذريّ، فتوح البلدان، ص 396؛ البكريّ، المغرب، ص 72، 73.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 104-105؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص14؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 330.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج 2، ص235؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص14؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 330.

(١٠) اليعقوبيّ، البلدان، ص 99-103؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97؛ وانظر: جوليان، تاريخ أفريقية، ج2، ص 61؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 67.

فقد أشار اليعقوبيّ إلى وجودهم في قابس، ومجانه، وقسطيلية، والزاب[١]، كما سكنوا في في مناطق المسيلة، وبسكرة، وطبنة، وباغاي[٢]، كما أشار البكري إلى وجودهم في قسطينة، ومدن بنطوس[٣].

و قد ساهم الخراسانيون بنصيب كبير في الجهاد بصقلية ، فالحملة التي نظمها محمد بن إبراهيم لغزو صقلية سنة 212 هـ / 827 م كان معظم جنودها من الفرس الخراسانيين يقودهم القاضي أسد بن الفرات، و كان خراسانيا كذلك[٤].

3. البربر: وكانوا يؤلفون السواد الأعظم من سكان أفريقية ، و كان معظمهم من الإباضية الذين طالبو الأمويين بالمساواة ، و كانت لهم ثوراتهم المتعاقبة على ولاة بني أمية وبني العباس. فلما تولى إبراهيم بن الأغلب إمارة أفريقية ، أطاعته قبائل البربر، و لكن إبراهيم لم يلبث أن تعرض لثوراتهم في طرابلس معقل الإباضية الأمنع. و يذكر ابن عذارى أنه كان له مع بربر أفريقية حروب كثيرة[٥]. وفي عهد إبراهيم بن أحمد قامت في صقلية فتنة فتنة بين العرب و البربر في سنة 285 هـ، فكتب اليهم الامير يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة[٦].

4. العبيد: وينقسمون إلى قسمين:
أ. العبيد السودان فقد أكثر الأمراء الاغالبة من شراء العبيد، إذ اشترى إبراهيم بن الأغلب 184 – 197 هـ العبيد السود و جعلهم حرسا خاصا له [٧]، أمَّا أحمد بن الأغلب ، فقد اتخذهم حرسا و حجابا له، عندما تغلب على حكم الامارة سنة 231هـ / 845م[٨]، كما استكثر منهم الأمير إبراهيم بن أحمد 261-281هـ، واتخذهم جندا له [٩] ، وقد استخدمهم للدفاع عنه عندما تمردت بعض المناطق كتونس و غيرها خلال فترة حكمه[١٠].

---

(١) اليعقوبيّ، البلدان، ص 99-103؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97.

(٢) اليعقوبيّ، البلدان، ص 99-103؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 97.

(٣) البكريّ، المغرب، ص74؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 331؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 67.

(٤) البكريّ، المغرب ، ص 74، وما بعدها.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 117، وانظر: ذنون، طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م، ص 49-50. وسيشار إليه فيما بعد: ذنون، الفتح والاستقمرار؛ حتاملة، الأندلس، ص 28 وما بعدها؛ جيل المولدين، ص 27 وما بعدها؛ سالم، تاريخ أفريقية، ج3، ص67.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص130، وانظر: حتاملة، جبل المولدين ، ص2، جوليان، تاريخ أفريقية، ج3، ص67.

(3) البلاذريّ ، فتوح البلدان، ص 231؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية ، ص 222؛ ابن الأثير، ج 6، ص 19؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 33- 34؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 154.

(4) الرقيق القيروانيّ، ص 222؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70؛ وانظر: قاسم، الحياة الفكرية، ص67.

(5) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4، ص 200.

(١٠) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 123، النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70-71؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 136- 137؛ الطالبيّ ، الدولة الأغلبية، ص 318.

ذكر ابن عذاري ان زيادة الله الثالث (290- 296هـ / 902- 908م) كتب اسم احدهم ويدعى (خطابا) على الدنانير والدراهم(١)، وقد أخرج عدداً كبيراً مع هذا الامير عندما عندما هرب من رقادة إلى المشرق حاملين معهم أمواله(٢).

ب – العبيد البيض، (الصقالبة):

و هؤلاء عبيد من الجنس الأبيض يؤتى بهم من أوروبا، و صقلية، و يربون تربية ذات طابع اسلامي(٣)، ولقد كثر هؤلاء في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد 261-281هـ، لكن إبراهيم أخذ يعمل على التخلص منهم بعد أن احتجوا عليه، و ذلك لانتقاله إلى رقادة(٤).

و يدل هذا الأمر على قوتهم، بحيث أصبحوا يتدخلون في أعمال الأمير، و يبدو أن الأمير إبراهيم بن أحمد قد شن عليهم حملة أخرى لتصفيتهم خلال فترة حكمه(٥)، لكنه لم يقض يقض عليهم تماما، فقد قام اثنان منهم بقتل ابنه الأمير عبد الله أحمد 289-290هـ / 901-902 م(٦).

و الحقيقة أن هؤلاء الغلمان ارتقوا إلى أعلى المناصب بفضل مكانتهم عند الأمراء(٧).

5. فئات أخرى:

أ. الروم:

وهم بقايا جند الحاميات البيزنطية الذين لم يرحلوا عن البلاد (٨)، وقد أشار اليعقوبيّ إلى بقائهم في بعض المناطق كقسطيلية، والزاب(٩).

ب.الأفارقة:

وهؤلاء جماعات خليطة من الفنيقيين، والإغريق، والوندال والرومان، وكانوا يدينون بالمسيحية(١٠).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص143.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 141،143، وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج 22، ص182، الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص744.وقد لعب الفتيان والعبيد دورا هاما في الدولة الاغلبية، وسجلت اسماء بعضهم على العملات ، باعتبار ان القائمين بالاشراف على دار السكة منهم فهم موضع ثقة الأمراء في هذه الوظائف الخطيرة، كذلك سجلت أسماء بعضهم في النقوش التاريخية على بعض المنشآت التي تمت على أيديهم ومن هذه الأسماء المسجلة اسم: مسرور الخادم مولى الأمير زيادة الله بن ابراهيم (201- 223هـ) حيث نقش على لوحة من الرخام تعلو باب المأذنة برباط سوسة الذي أسس سنة 206هـ ، واسم خلف الفتى اسم يطلق على برج من أبراج سور سوسة، ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية من السور، ونقرا اسم نصر وفتح الله على قبة المحراب في جامع الزيتونة في تونس في نقش نصة (بسم الله الرحمن الرحيم، فما أقر بعملة المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله، وابتغاء مرضاته، على يدي نصر مولاه سنة خمس ومئتين يا أيها اللذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله – صنعه فتح الله) وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص334- 335.

(٣) مؤنس ، معالم تاريخ، ص 85؛ سالم ، تاريخ المغرب ، ص 334.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص117؛ النويريّ نهاية الأرب ، ج 24، ص 70.

(٥) مجهول، العيون و الحدائق، ق1، ص 73؛ و انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 132.

(٦) ابن عذاري، البيان ، ج 1 ، ص 134، وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 132.

(٧) جوليان ، تاريخ أفريقية ، ج 2، ص 65.

(٨) صفر، أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامه، مطبعة العمل، تونس، 1959م، ج1، ص 165 وما بعدها . وسيشار إليه فيما بعد: صفر، مدنية؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج 2، ص 61؛ سالم، تاريخ المغرب، ج2، ص330.

(٩) اليعقوبيّ، البلدان، ص 102؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ج2، ص 330 وما بعدها.

(١٠) البكريّ، المسالك، ص 56؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 37؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص 49، ذنون، الفتح والاستقرار، ص 51؛ سالم، تاريخ المغرب، ج 1، ص 333.وقد جعلهم اندريه جوليان نصارى من البربر على دين النصرانية أحفاد الرومان المعروفين بالافارقة. انظر: جوليان، تاريخ أفريقية، ج23، ص 61-62.

ج. اليهود:

لم يكن لهم أي سلطة، وقد أشار ابن حوقل إلى دفعهم للضرائب، كما أنهم لم يتضايقوا من معايشتهم للمسلمين(١)، وكانت لهم سوق خاصة بهم، وهذا دليل على تسامح المسلمين تجاه تجاه غيرهم ممن يدينون بديانات أخرى(٢).

وعند ولاية إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-811م) استشار هارون الرشيد هرثمة بن أعين والي المغرب السابق، الذي أكد على أنه ليس بأفريقية (أحد أفضل طاعة ولا أبعد صيتاً ولا أرضى عند الناس من إبراهيم) (٣)، فكان ذلك سبباً في تولية الرشيد له سنة 184هـ/800م، وان دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على رضا الناس عن إبراهيم بن الأغلب، وقبولهم في أن يكون والياً عليهم.

ورواية أخرى تدل على موقف السكان الإيجابي من إبراهيم بن الأغلب، وهو أن السكان قد طلبوا منه توليته لنفسه على أفريقية وأنه قد كتب إلى الخليفة هارون الرشيد بناء على طلب العامة والسكان(٤).

وفي سنة 186 هـ / 802 م تعرض ابن الاغلب لثورة خطيرة في تونس، قادها والي المدينة العربي و زعيم "الأبناء" (٥) خريش " حمد يس" بن عبد الرحمن بن خريش الكنديّ(٦). الكنديّ(٦).

وقد سببت طرابلس بدورها الكثير من المتاعب لابن الأغلب ، فقد كثر شغب أهل طرابلس على ولاتهم ، وكان ابراهيم بن الأغلب أمير أفريقية قد ولى عليهم عدة ولاة، فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم و يولي عليهم آخرين و في سنة 189 هـ - 805 م، ثار أهل طرابلس ضد واليهم سفيان بن المضاء (وهي ولايته الرابعة) فاتفق أهل البلد على اخراجه عنهم، واعادته الى القيروان، فزحفوا اليه، فأخذ سلاحه، و قاتلهم هو ومن معه، فأخرجوه من داره، وألجأوه الى المسجد الجامع، فقاتلهم فيه، فقتلوا أصحابه، ثم سمحوا له بالخروج بالامان بعد ولاية استمرت سبعة و عشرين يوما(٧).

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 72؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص 53؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج3 : ص 67؛ ذنون، الفتح والاستقرار، ص 5 وانظر أيضاً، صفر، مدنية المغرب، ص 361-362.

(٢) حتاملة، جيل المولدين، ص20؛ الأندلس، ص 39؛ جوليان، تاريخ أفريقية، ج2،، ص 63 حول وجود اليهود في شمال أفريقية والأندلس، انظر : حتاملة، ايبيريا، ص 243، 246، 253، 259.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 22؛ مجهول ، العيون والحدائق، ج3، ص 302؛

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 62-63؛ ابن خلدون، ج4، ص 234-235.

(٥) الأبناء: أبناء الجند الذين ولدوا في افريقيا سواء كانوا من العرب البلديين أي الفتوح الأولى، كما يقول ابن الأبار، أو من الوافدين بعد ذلك من أهل الشام ، و من خرسان ، و أبناء الجند الذين ولدوا و لم ينخرطوا في العسكرية، انظر: ابن الأثير ، الكامل ، ج 5، ص 104؛ ابن الأبار الحلة السيراء ، ج 1، ص 391.

(٦) عن ثورة حمديس الكنديّ (خريش)، انظر: الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 225؛ ابن الاثير، الكامل، ج5، ص104؛

(٧) يضع ابن عذاري (الثورة) ضمن أحداث سنة 185 هـ و لو أنه يتبع ذلك بقوله : أنه كان لابن الأغلب مع الكنديّ وقائع وافقت محاربة المأمون للأمين من بعد موت الرشيد الى بعد سنة 193 هـ ، واعتقد أن ابن عذارى يخلط بين ثورة الكنديّ هذه و ثورة عمران بن مجالد الذي قضى على ثورة خريش (حمديس) سنة 194هـ/810م. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص121؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 367-368.

ويفهم من رواية ابن الاثير الذي ينفرد بذكر خبر ثورة طرابلس – ان جند طرابلس وليس أهلها هم الذين قاموا بتلك الثورة، اذ أن الجند هم الذين ولوا على البلد ابراهيم بن سفيان وبين قوم من بني أبي كنانة وبني يوسف حتى فسدت طرابلس[١] و عندما بلغت ابراهيم أخبار تلك الفتنة أرسل جمعاً من الجند وأمرهم أن يحضروا الأبناء وبني أبي الكنانة وبني اليوسف فأحضروهم عنده بالقيروان سنة 189 هـ ، فلما قدموا عليه سألوه العفو عنهم في الذي فعلوه، فعفا عنهم وعادوا الى بلدهم[٢].

اما اشد الثورات خطراً فهي تلك الثورة التي قام بها قائد ابن الاغلب عمران بن مجالد الذي قضى على فتنة خريش (حمديس)، بالاشتراك مع قريش بن التونسي سنة 194 هـ / 810م[٣] الذي نجح في الاستيلاء على القيروان التي صارت هي واكثر بلاد أفريقية معه[٤].

ولم يكن لابراهيم بن الأغلب ملاذا الا في العباسية ، فخندق حولها واعتصم باسوارها [٥]، وقد أتى الفرج في الأموال التي أرسلها الرشيد الى ابن الأغلب لدفع مرتبات الجند و ترك ترك عمران بن مجالد القيروان الى الزاب حتى وفاة ابراهيم بن الأغلب عام 196 هـ / 812م[٦].

وفي ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (196- 201 هـ / 812 – 817م) و التي ولاه أبوه اياها للمرة الثانية أثر اضطراب أحوالها، نتيجة لاضطراب الجند الأغلبي من جهة، و تهديد الخوارج من جهة أخرى، و كان ابراهيم بن الأغلب قد اضطر الى اعادة ابنه عبد الله الى طرابلس مرة ثانية، بعد أن كان عهد بولايتها الى سفيان بن المضاء الذي ظهر عجزه في مقاومة البربر فهزمهم عبد الله واستقر في المدينة، وجدد تحصيناتها وبنى اسوارها[٧].

و بينما كان عبد الله في طرابلس قام أخوه زياد الله بأخذ البيعة من رؤساء الجند، وأرسل يخطره بالأمر[٨]، فاضطر الى عقد صلح مع أباضية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم اعترف لهم فيه بالسيادة عن ظواهر المدينة[٩].

وهذا يعني أنه أثبت كفاءته، و كانت وصية ابراهيم بن الأغلب أن تكون الامارة له بعد وفاته، و بعد أخذ البيعة لعبد الله من قبل أخويه زيادة الله واخباره بموت أبيه وعقد الصلح مع الإباضية، وقدعاد عبد الله بن ابراهيم الى القيروان وتسلم مقاليد الحكم والولاية[١٠].

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 224؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص391؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ص 368.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج5، ص 121.

(٣) المصدر نفسه، ج5، ص 121.

(٤) عياض، القاضي عياض، أبو الفضل عياض ين موسى، ترتيب المدارك ، دار هارون بيروت، 1965 م، ص 478. وسيشار إليه فيما بعد: عياض، ترتيب المدارك؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 121-122.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ج 5، ص104.

(٦) ابن الاثير ، الكامل، ج 5، ص 104؛ ابن خلدون، العبر ، ج4، ص 197.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص95.

(٨) ابن الاثير، الكامل، ج 5، ص 105؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص95؛

(٩) ابن الاثير، الكامل، ج 5، 105؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص95؛ ابن خلدون ، العبر، ج 4 ، ص 197.

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج 5، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 235-256.

وقد وافق الخليفة المأمون على ولايته على أفريقية سنة 198 هـ / 813 م، كما تقول رواية ابن عذارى[١].

وقد استمرت ولاية أبي العباس خمس سنوات وشهرين، ويورد له الكتاب عملين:

أولهما: إساءته إلى أخيه زيادة الله الذي يرجع إليه الفضل في أخذ البيعة له من كبار الجند عند وفاة والدهما إبراهيم والذي ساس شؤون الدولة حتى رجوعه من طرابلس[٢].

وثانيهما: خاص بإصلاح نظام الضرائب، وكانت الضريبة المعتادة هي العشر من الحب الذي تخرجه الأرض، وجعل الخراج ضريبة ثابتة وهي قفيز واحد [٣]، وعارض الفقهاء هذا الإجراء، وطلبوا منه العدول لكنه رفض ذلك. وبقي الأمر على ذلك، حتى تولى الحكم (أبو عقال)، الأغلب بن إبراهيم، فأعاد ضريبة العشر[٤].

وفي عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201-223هـ/817-837م)، تذكر الروايات أنه في سنة 207هـ/822م ونتيجة لسوء سيرة زيادة الله في الجند قامت ضده ثورة تزعمها أحد قواد الجند، وهو زياد بن سهل ويعرف بـ (ابن الصقلبية)، كما يقول ابن الأثير، الذي خرج في موضع يعرف بفحص [*] أبي صالح بالقرب من مدينة باجة، لكن هذه الثورة انتهت سريعاً على يد سفيان بن سوادة قائد زيادة الله، والذي فك حصار باجة، وقتل كثيراً من أصحابه الذين خالفوا معه، وغنم أموالهم[٥].

وفي سنة 208هـ/823م حدثت ثورة الزعيم القيسي عمر بن معاوية الذي كان عاملاً لزيادة الله على منطقة القصرين، وكان لعمرو بن معاوية ولدان الأول يسمى حباب والآخر سجمان، وقد قال حباب لأبيه عمرو: (انك دخلت في أمر عظيم، وعرضت نفسك لهلاك، ولست من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عدد ولا عدة، فما كان من والده إلا أن ضربه مائتي سوط، كما تقول الرواية، وتمادى على الخلاف)[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 41.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص105؛ وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 177؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 41.

(٣) القفيز يساوي (159.2م2). انظر : ابن عذاري، البيان، ج 1، ص95؛ ابن ابي الضياف، اتحاف، ج 1، ص 105؛ زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج2، ص 41؛ الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 178-179.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج22، ص 265؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 76-77.

(*) الفحص كل موضع يسكن سواء كان سهلاً أو جبلاً بشرط أن يزرع، والفحص كذلك كورة كبيرة، وقد يكون إقليم من الأقاليم. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 330؛ ابن الابار، الحلة السيرا، ج 2، ص 223؛ 252،251؛ وانظر: العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، المطابع العسكرية : عمان، ج 1، 1999م، ص142؛ وحولة باجة، انظر : حتاملة، إيبيريا، ص 177، 238؛ الأندلس، ص 84.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 96-97.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 97-98.

ولم تستمر ثورة القصرين طويلاً، إذ قبل القيسي وولداه الاستسلام مقابل الأمان، وذلك عندما أرسل إليهم زيادة الله قواته/ وجيء بهم إلى زيادة الله فأمر بحبسهم في قصر وزيره وابن عمه الأغلب بن عبدالله الذي يلقب بـــ (غلبون) حتى يرى فيهم رأيه(١).

وقد اتبع الأمير زيادة الله أسلوب القسوة والشدة في التنكيل بالثائر القيسي، الأمر الذي أدى إلى ثورة كبرى كادت أن تعصف بالدولة الأغلبية، وكان قائد تلك الثورة هو منصور بن نصر الطنبذي* الذي خرج على زيادة الله سنة 209هـ/824م(٢).

فعندما وصلت أخبار قتل زيادة الله للثائر القيسي عمرو بن معاوية وولديه ثار لأبناء عصبيته، وامتعض ودعا بني تميم في طرابلس إلى مؤازرته للأخذ بالثأر(٣).

وقد أرسل زيادة الله إلى الطنبذي سرية من الجند، مكوّنة من ثلاثمائة فارس بقيادة القائد محمد بن حمزة الرازي المعروف بـــ (الحرون) نحو تونس لمباغتة منصور، ولكنه لم يجده، إذ كان غائباً في قصره في طنبذة(٤).

ومهما يكن من أمر، فإن زيادة الله قد أرسل ابن عمه (غلبون) الطنبذي، ولكن الهزيمة لحقت بهم أما جيش منصور الطنبذي. ولم يستطع غلبون ورجاله الصمود أمامها (٥)، وكان ذلك في الخامس من جمادى الأولى سنة 209هـ/الموافق الثاني من أيلول(سبتمبر) 824م(٦). 824م(٦).

وتقول الرواية ان القاضيين أبا محرز وأسد بن الفرات خرجا إلى منصور الطنبذي، حيث جرى بينهم حديث كان الهدف من ورائه اقناع منصور بحقن الدماء والعودة إلى الطاعة، ولكن لم يصل الطرفان إلى اتفاق (٧). ما حدا بمنصور إلى استخدام أسلوب القوة حيث عسكر قرب القيروان، وحفر خندقاً حول العسكر(٨).

أمَّا زيادة الله، فقد زحف على رأس قواته من القصر القديم (العباسية)، واتخذ موضعاً له بين القيروان والقصر، وكان هناك خندق حول عسكر الطنبذي(٩).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 97-98؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 45، ص 272-276؛ نبيلة، محاضرات، ص 180،

(*) منصور بن نصر الطنبذي من قبيلة هوازن من ولد دريد بن الصمة، ويعرف بالطبنذي نسبة إلى قصر له في قرية طنبذة من إقليم المحمدية بالقرب من تونس. حول ترجمة حياته انظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص 382؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 330.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 330؛ابن الابار، الحلة السيراء، ج 2، ص 167؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 59.

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 330؛ابن الابار، الحلة السيراء، ج 2، ص 167؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 59.

(٤)ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص 167؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 60.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 99-100؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 48؛ نبيلة، محاضرات، ص 182.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 100؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 51.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 100؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 183؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 51.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 100؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 51.

(٩) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ حيث يقول النويريّ: (ان زيادة الله نزل بين الفسطاط والقصر)، وقارن: ابن خلدون، ج4، ص 198 (حيث النص على حصار زيادة الله في العباسية (العباسية)).

واكتفى زيادة الله بهدم سور القيروان، الذي كان منصور الطنبذي قد أصلحه حتى سوّاه بالأرض(١).

وقد فشل الطنبذي في الاستيلاء على أفريقية، نتيجة هزيمته الساحقة أمام قوات زيادة الله، وظهر الانشقاق في صفوف أتباعه أمثال : عبد السلام ابن المفرج، وعامر بن نافع ... وحاول زيادة الله القضاء على أحد أنصار منصور وهو عامر بن نافع فعبأ جيشاً كبيراً وجعل على مقدمته ابن عمه محمد بن عبدالله بن الأغلب، وبرفقته بعض الأسرة الأغلبية، وعدداً من كبار القواد، وتم اللقاء قرب منطقة سبيبة قرب القيروان في العشرين من محرم سنة 210هـ/4أيار (مايو) 825م، وقد انتهى القتال بهزيمة منكرة لجيش زيادة الله، إذ قتل قائده محمد بن عبدالله بن الأغلب(٢).

ونجح سفيان بن سواده قائد زيادة الله في فتح إقليم نفزاوة حتى وصل إلى حدود قسطيلية، حيث كان عامر بن نافع قد وصل(٣).

وفي قسطيلية حشد عامر بن نافع الجند السودان، حتى جمع منهم ألف أسود ومعهم الفؤوس والمساحي، وضمهم إلى رجاله، واتجه بهم عامر على نحو نفزاوة حيث اتخذ من مدينة نقيوس منزلاً له(٤).

وانتهى القتال بين قوات سفيان وعامر بن نافع بهزيمة الجند من قوات عامر بن نافع ومقتل الكثير منهم، وانسحب عامر إلى قسطيلية، وبعد ذلك عاد إلى تونس، وحدث صراع بينه وبين منصور الطنبذي(٥)، ذلك أن عامر كان يعد نفسه نداً لمنصور الطنبذي، وإثر توعّد منصور لعامر، رأى هذا الأخير أن يبدأ بالتخلص من منصور، ونجح في استمالة الجند إلى جانبه وخرج من تونس، لمفاجأة منصور وهو بالمحمدية، وحاصره، وجرت مفاوضات بين الطرفين وانتهت المفاوضات بأن عرض عليه منصور أن يسمح له بالخروج مع الأمان على أن يتوجه في سفينة إلى المشرق، وأجابه عامر إلى ذلك(٦).

ولكن الطنبذي أشار عليه أصحابه بأن لا يخضع لضيم عامر بن نافع وأنه يمكنه الاتجاه إلى مدينة الأربس(*) وفعلاً تحصن بها، وعندما علم عامر بذلك سافر إلى الأربس على إثر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 100؛ وانظر كذلك : نبيلة، محاضرات، ص 184؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 53.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ ويقول ابن الأثير: (ان محمد بن عبدالله بن الأغلب لم يقتل بل عاد منهزماً بمن معه إلى القيروان).

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 182.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 185؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 101؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص56.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 101؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ ابن خلدون، العبر ج4، ص 237.

(*) الأربس: ضبطها ياوقت الحموي في معجم البلدان بضم الهمزة والياء وكتبها البكريّ في تشكيل (الربس) وهي مدينة بتونس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وهي مدينة مسوّرة لها ربض كبير، وبأرضها توجد أطيب الزعفران ولذلك تعرف ببلدة العنبر. انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص136.

منصور، وضرب عليه الحصار، ومع طول الحصار ضج أهل المدينة، وكلّموا منصور بالخروج من مدينتهم، فطلب منهم أن يمهلوه بعض الوقت حتى ينظر في أمر خلاصه[١].

وطلب منصور الطنبذي من أحد قاده عامر بن نافع وهو عبد السلام بن المفرج اليشكري الوساطة لكي يحصل من عامر على الأمان، وعاهده أن يسير إلى المشرق، ونجح عبد السلام في الحصول على الأمان لمنصور[٢]، بواسطة استخدام السفن[٣].

ويفهم من تلك الروايات أن عامراً عندما أعطى الطنبذي الأمان كان يضمر الغدر به، وذلك أن عامراً أمر صاحب خيله الذي رافق منصوراً في السفينة من تونس بأن يسير به سراً إلى جزيرة جربة ويسجنه بها، ففعل ذلك، وسجن معه أخاه حمدون[٤].

فلمَّا علم عبد السلام بن المفرج بذلك، وكتب عامر إلى أخيه وهو واليه على جربة يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون، ويرجع فيهما، فأحضرهما عنده، وقرأ عليهما كتاب عامر، وهنا طلب منصور دواة وقرطاساً ليكتب وصيته، ولكنه لم يستطع الكتابة، وتم قتلهما، وأرسل برأسيهما إلى عامر[٥].

ولم يمر مقتل الطنبذي وأخيه حمدون دون ردود فعل بين الجند الأغلبي المتمرد، وخاصة المضرية منهم، والذين انضموا إلى جانب منافسه عبد السلام بن المفرج الذي رفع راية الثأر للمقتول المظلوم، وانتهى الأمر بخروج بن المفرج نحو تونس لقتال عامر، وانتهى اللقاء بانتصار ابن المفرج وهزيمة عامر إلى جربة، ولمّا أيقن بالموت دعا بنيه وأوصاهم باللحاق بزيادة الله فعملوا برايه وقدموا إلى زيادة الله مستأمنين سنة 213هـ/828م، كما قدم الجند إليه يطلبون الأمان فأمنهم وأحسن إليهم[٦].

عندما بلغ زيادة الله نبأ وفاة عامر بن نافع قال: (اليوم وضعت الحرب أوزارها، كما يقول ابن عذاري، ولكن ابن الابار في (الحلة السيراء)، يعلق على مقالة زيادة الله على نهاية الحرب بنهاية عامر، بقوله: (فكان كذلك لم يزل أمر الجند مدبراً حتى انقضت الحرب، وطفئت الثائرة، وصفت له أفريقية)[٧].

وقامت بعض الفتن في البلاد، لكن زيادة الله قضى عليها بسهولة، ففي حوليات ابن عذاري مثلاً ذكر لفتنة سنة 216هـ/831م بأفريقية بين رئيسين من رؤساء الجند، هما: مطيع السلمي، واسماعيل بن الصمصامة، انتهت بهزيمة مطيع، وقتله، وفرار اصحابه[٨].

وفي سنة 218هـ/833م عادت منطقة تونس للاضطراب من جديد، عندما ثار بجزيرة ستريك قائد من قواد الجند هو فضل بن ابي العنبر، ونجح في هزيمة العسكر الذين وجههم إليه زيادة الله، فتغلب على المنطقة، وأعلن الاستقلال بها[٩].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص185؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 102؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 186.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص60؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 57.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 60؛ وانظر زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 57.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 185-186؛ انظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 58.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص103؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص61.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص103. وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 60؛ نبيلة، محاضرات، ص 187.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 104.

(٩) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237.

وقد استجاب عبد السلام بن المفرج لطلب المعونة من قبل الفضل، فخرج من باجه إلى جزيرة ستريك ولكن الرجلين لم يستطيعا مواجهة القوات الأغلبية، وانتهى الأمر بمقتل عبد السلام بن المفرج، كما سبق، بينما انهزم الفضل إلى تونس، وامتنع بها[١].

وسيّر زيادة الله جيشاً كثيفاً إلى تونس بقيادة ابن عمّه والي صقلية أبي فهد محمد بن عبدالله بن الأغلب، ففر الفضل من تونس، كما نجح من الإفلات كثير من عسكره، واقتحم العسكر الأميري المدينة، وقتلوا كثيراً من أهلها، وهرب آخرون[٢].

ويبدو، وحسب المصادر أن الفقهاء كان لهم دورهم في تلك الثورة عن طريق قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يذكر ابن عذاري قتل أحد الفقهاء وهو عباس بن الوليد[٣].

وفي سنة 219 هـ/834م أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في تلك الثورة، وأفلت من تونس، فاستجاب له أهل المنطقة، وركن الإقليم إلى الهدوء والسكينة[٤].

وشهدت البلاد خلال حكم أبي إلى عقال الأغلب بن الأغلب (223-226هـ/838-841م) فترة من الهدوء والأمن والسكينة والاستقرار، باستثناء تلك الحملة التي يورد ذكرها ابن عذاري سنة 224هـ/838م، والتي أرسلها بقيادة عيسى بن ربيعان الأزدي إلى قبائل لواته وزواغة، ومكناسة، فيما بين مدينتي قفصة وقسطيلية، وقد انتهت تلك الحملة بقتل تلك القبائل، إذ تنص الرواية على أن عيسى (فقتلهم عن آخرهم)[٥].

وخلال فترة حكمه استتب الأمن بين الناس، واستقرت أمور الجند بفضل الإجراءات التي اتخذها الأغلب[٦]، ويفسر ابن الأثير تلك الأحداث التي غيرها بأنها كانت من المظالم[٧].
المظالم[٧].

أما عن عماله ونوابه في الأقاليم فقد كف أيديهم عن التطاول على أموال الناس، وعما كانوا يرتكبونه من المظالم عن طريق زيادة رواتبهم، ودفعها لهم في أوقاتها المقررة[٨].

ومن أعماله التي كان لها موقف حسن وأثر طيب في قلوب المشايخ والناس أنه منع عمل النبيذ والخمر في القيروان[٩]. بل وعاقب أيضاً على بيعه وشربه[١٠].

وفي عهد ابي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (226-242هـ/841-856م)، تمتعت البلاد في السنوات الأولى من حكمه بالهدوء والاستقرار، إذ أنه اشرك أخاه أحمد بن الأغلب في الحكم، وعهد الأمير محمد بالوزارة إلى الأخوين، محمد بن علي بن

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237-238.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237-238؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 62.
(٤) ابن عذاري، البيان، البيان، ج1، ص 105؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 238؛ وانظر : زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 424.
(٥) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 107؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 239؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 75؛ نبيلة، محاضرات، ص 190.
(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 63.
(٧)ابن الأثير، الكامل، ج5، ص252-253؛ ابن عذاري، البيان، البيان، ج1، ص 107.
(٨) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 253.
(٩)ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 253؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 63.
(١٠) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 107.

حميد، وأحمد بن علي بن حميد، ويفهم من الروايات أن ابني حميد غلباه على أمره واستبدا بالأمور دونه، مستغلين فرصة انشغاله (بلهوه ولذته) مما أثار حقد أخيه أحمد(١).

وقد اتفق أحمد بن الأغلب مع عدد من أنصاره على مباغتة مقر الأمير محمد في مدينة القصر القديم، سنة 231هـ/844م (وقت الظهيرة)، عندما يكون القصر خالياً من الحرس، ونجح المتآمرون من أصحاب أحمد من اقتحام أبواب القصر، وهجموا على الوزير بن حميد فقتلوه بأمر أحمد، ودار القتال بين الفريقين، ولما بلغ الخبر الأمير محمد اعتصم في علية من القصر مرتفعة (ولمّا صعب الأمر على رجال أحمد، أعلنوا أنهم لم يخلعوا طاعة الأمير محمد، وأنهم قاموا بعملهم هذا من أجل تخليصه من استبداد بني حميد الذين استأثروا دونه بالسلطان والمال(٢).

وإزاء ذلك الموقف اضطر الأمير محمد إلى النزول إلى مجلس العامة، وأذن لأخيه أحمد ورجاله بالدخول عليه، فدخلوا بسلاحهم وتعاقب الإخوان، واصطلحا وتعاهدا على أن لا يغدر أحد منهما بأخيه(٣).

وفي سنة 232هـ/845م استرجع محمد سلطانه عندما دارت بين الفريقين حرب عظيمة انتهت بانهزام اصحاب أحمد، إذ أن محمداً نفى أخاه إلى مصر بأهله، فمات هناك(٤).

وفي إقليم الزاب انتهز سالم بن غلبون، الذي كان عاملاً على إقليم الزاب من قبل الأمير محمد، فرصة النزاع بين الأخوين وخرج على الطاعة، وبعد استقرار الأمور لمحمد ظل سالم رافعاً راية العصيان، ما جعل الأمير يعزله عن ولايته في سنة 232هـ/845م، ولكن سالماً خرج سنة 233هـ/846م يريد دخول القيروان، ولكنه عدل عن ذلك أثناء الطريق، وسار إلى مدينة الاربس (مظهراً الخلاف)، ولكن أهلها منعوه من دخولها، فسار إلى باجة، وتمكن من دخولها، وسيطر عليها وحينئذ سير الأمير محمد جيشاً بقيادة خفاجة بن سفيان الذي صاهره، حتى اضطره إلى الهرب ليلاً، واتبعه خفاجة صباح اليوم التالي ولحقه، وقتله وحمل راسه إلى محمد(٥).

ويذكر ابن عذاري في حوليات سنة 232هـ/847م ثورة عمر بن سليم التجيبي المعروف (بالقويع)(*) في تونس، ولم يتمكن خفاجة بن سفيان بن سوادة من الغلبة عليه، وفي سنة 235هـ/849م أرسل الأمير محمد بن الأغلب قائده محمد بن موسى المعروف بـــ (عريان) بجيشه إلى تونس لقتال القويع، وانتهى القتال بمقتل ابن موسى بعد أن انكسرت رجله، وقتل كثير من أصحابه، وعاد بقية الجيش إلى ابن الأغلب مهزومين إلى القيروان(٦).

---

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 63؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 21؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج2، 79.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 108؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 63؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3": ص21.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 108؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 21؛ وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 193.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 109؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص64؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص 21–22.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 109–110؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 194.

(*) القو يع: طائر صغير له عرف أشبه بعرف الهدهد، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 7 : ص 44. حيث القراءة القويع، أما في (تراجم أغلبية) للقاضي عياض فنجد القراءة (بالقوييع) وكذلك في المالكيّ، رياض النفوس، ص 280.

(٦) المالكيّ، رياض النفوس، ص 280، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 282؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 110.

وفي سنة 236هـ/850م خرج اليه خفاجة بن سفيان في جيش كثيف وقاتله قتالاً شديداً وقتل أصحابه، وانتهى اللقاء بانهزام القوبع الذي قبض عليه، وضربت عنقه، ودخل خفاجة تونس عنوة، وسبى ما فيها، ثم عاد بالجيش إلى القيروان(١).

وفي ولاية أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب 242-249هـ/856-863م، كان على ولاية طرابلس عبدالله بن محمد بن الأغلب، والظاهر أن مثيري القلاقل في الإقليم كانوا من قبائل البربر الإباضية من هوارة ولواته، ويفهم من رواية ابن الأثير أنهم امتنعوا عن الوالي، ولم يؤدوا ما كان عليهم من العشور والصدقات، وأن الوالي عبدالله (أخا الأمير) قام بقتلهم بمن معه من الجند، واستمر الأمير أحمد الذي سير إليه الكثير من العساكر مع أخيه زيادة الله(٢).

ودارت رحى الحرب بين قوات الدولة الأغلبية في القيروان وبين الخوارج الإباضية من البربر، وانتهت بقتل الكثيرين منهم، وخضع ثوار طرابلس من القبائل البربرية وأعطوا الرهائن لابن الأغلب وأدّوا ما كان عليهم من الأموال (٣)، وقد عرفت هذه الحوادث بـــاضطراب طرابلس، إذ كان على ولاية طرابلس عبدالله بن محمد بن الأغلب(٤).

أما زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (249-250هـ/863-864م) فإن إمارته لم تطل حيث ولي الإمارة سنة وأسبوعاً، وقد كان عاقلاً حليماً، حسن السيرة، جميل الأفعال، ذا رأي وجود وشجاعة (٥)، ما يدل على رضى الناس عنه، وإعجابهم بشخصيته.

وولي محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (ابو الغرانيق) من 250-261هـ/864-875م ويصفه الكتاب بأنه كان غاية في الجود والسخاء مسرفاً في العطاء، حسن السيرة مع الرعية(٦).

وفي أيام حكم محمد بن أحمد الأغلب كللت الحروب في صقلية بالظفر بقيادة خفاجة بن سفيان بن سوادة، إذ أرسل إلى بلاد الزاب جيشاً عظيماً جعل قيادته إلى قائده محمد بن اسماعيل الذي وصل إلى مدينة (تهودة) ثم (بسكرة) ثم طبنة) ثم على مدينة (أبة)، ونزلها بعسكره، وأعلن رؤساء القبائل طاعتهم وخضوعهم ولكنه لم يقبل منهم، ودارت معركة بين جيشه وبني كملان انتهت بمقتل محمد بن إسماعيل ومقتل الكثير من جند القيروان، وانهزام الجند حتى أبواب طبنة(٧).

أما في عهد إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (261-289هـ/847-875م)، فمنع الظلم ونتشر العدل بين الناس والرعية، ولكن له سيئاته كأعمال العنف والقسوة التي تصل إلى

---

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ص 280، ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 282؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 110.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 297؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 240؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 197.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 297؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 240؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 197.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 297؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 240؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 197.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 114؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 250.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 68؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 200.

(٧) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 68؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 200.

سفك الدم لأدنى سبب، ولم يسلم منها أهل الأمير من بني عمومته، وأخوانه، وحتى أبنائه وبناته. وقد نجح الأمير في إخماد الفتن والاضطرابات في طرابلس وتونس وبلاد الزاب(١).

واستاء الصقالبة من الأغالبة لخروج الحكم من القصر القديم (العباسية أو العباسة) إلى رقادة، ولكن إبراهيم قضى على حركتهم بعنف وقسوة، وتقول الروايات أنه عندما حل وقت دفع المرتبات إلى الجند والخدم، إذ حضر إليه العبيد والموالي في قصره في رقادة فقتل بعضهم وشتتهم، وأمر بحبس عدداً منهم في سجن القيروان حتى الموت، ونفى عدد منهم إلى صقلية(٢).

واتجه إلى الاستعانة بالعبيد من السودان، فاشترى أعداداً كبيرة منهم، ودربهم على أعمال الجندية، وأصبح يعتمد عليهم في الحروب(٣).

وصل العباس بن أحمد بن طولون إلى برقة بعدما استولى على ما كان في بيت المال في مصر، وقبض على وزير والده أحمد بن محمد الكاتب في ثمانمائة فارس وعشرة آلاف راجل من السودان في شهر ربيع الأول سنة 265هـ/878م(٤). وأخذ العباس يكاتب رؤساء القبائل البربرية في طرابلس، وقد استجاب له بعضهم، لأنهم كانوا يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية لأنهم كانوا يدينون بمذهب الخوارج الإباضية(٥).

ونتيجة لاستجابة بعض زعماء البربر، تشجع العباس على المسير نحو منطقة لبدة شرق طرابلس، وعندما وصل إبراهيم بن أحمد نبأ مسير العباس أسرع إلى إرسال قائده أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس ودخلها قبل وصول العباس(٦).

وقد حشد ابن قرهب جنده، من بربر المنطقة ودخل لبدة قبل وصول القوات الطولونية(*)(٧).

وانهزم جيش ابن قرهب في موقعة (ورداسة) إذ انهزم نحو طرابلس(٨)، وقد أساء رجال رجال العباس معاملة أهل لبدة ونهبوهم(٩)، وعلاوة على ذلك، فإن رجال العباس من السودان

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 5؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 69؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 132-133؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 243.

(٢) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 70؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 280؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص 119.

(٣) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 71؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 119؛ نبيلة، محاضرات، ص 202.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 118؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 40؛ أحداث سنة 265هـ، وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 23.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 21؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 118؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص 40؛ أحداث سنة 265هـ، وانظر : نبيلة، محاضرات، ص 23.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118.

(*) الطولونية (الدولة الطولونية): تأسست سنة 254هـ واستمرت حتى 292هـ مؤسسها أحمد بن طولون، كان أبوه من الأتراك، تولى نيابة مصر للمعتز سنة 254هـ فأحسن إلى أهلها وأنفق فيهم من بيت المال وبنى بها جامع طولون الذي استغرف بناءه ثلاث سنوات وبنى مارستاناً (مستشفى) للمرضى وفي سنة 264هـ دخل في حوزته بلاد الشام والثغور وبلغت حدود ملكه إلى الفرات، مات سنة 270هـ وأعقبه ابنه خمارويه (270-282) ثم ابو العساكر جيش بن خمارويه (282-283) ثم هارون بن خمارويه (283-292) ثم حكم شيبان بن أحمد بن طولون (292-292). انظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية، مكتبة علاء الدين، الاسكندرية، 1998م، ص 319.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 70.

(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 118؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 70.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ص 21.

أخذوا يغيرون على أهل البوادي، ويسيئون معاملتهم حتى اعتدوا على الحرم، مما أثار بربر نفوسة الإباضية[١].

وقد أصاب البلاد القحط في عهده سنة 268-269هـ/881-882م، وتقول رواية ابن عذاري، ان ابراهيم بن أحمد (قد قتل أطفال قبائل الزاب، وحملوا على العجل إلى الحفر، والقوا فيها)[٢].

وقامت قبيلة هوارة هي الأخرى بالعصيان، ولكن حركتها انتهت بطلب الأمان والركون إلى الطاعة[٣].وفي سنة 279هـ/892م تخلص إبراهيم بن أحمد من فتيانه الصقالبة، وذلك خوفاً من أن تتحقق نبوءة أحد المنجمين الذي قال ان إبراهيم سيقتله (رجل ناقص العقل) [٤] وانه يمكن أن يكون أحد من خدمه، وقد أحاط نفسه بحاشية من السودان[٥].

وفي سنة 289هـ/902م أظهر إبراهيم بن أحمد التوبة، وأراد أن يرضي العامة والناس، ويستميل قلوب الخاصة بأفعاله فرد المظالم، وأسقط القبالات (المكوس) وأخذ العشر طعاماً، وترك لأهل الضياع خراج سنة، وسماها سنة العدل [٦]، وقد أعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليوزعوها على الضعفاء والمساكين[٧].

وفي سنة 289هـ/901م أي عندما كان عبدالله نائباً لوالده بعد خروج والده على صقلية، استرجع معظم الأموال التي كان أبوه قد أخرجها للفقهاء ووجوه الناس، ليفرقوها في المساكين، والتي أعطيت لمن لا يستحقها[٨].

وقد عاهد ابو العباس عبدالله بن إبراهيم الناس عند تسلمه ولايته بالوعد الجميل، والعدل والرفق والجهاد في سبيل الله[٩].

وما استوثق الأمر لزيادة الله بن أبي العباس عبدالله بن إبراهيم (290-296هـ/903-909م) حتى أمر بقتل من قتلوا والده وقتل عمه أبا الأغلب الزاهد الساكن بسوسة، وقتل أخا أبا عبدالله الذي كان يقاتل أبا عبدالله الشيعي في طبنة[١٠].

وقد ثار أهل أفريقية ضد الداعي الشيعي ابي عبدالله الشيعي الذي كان يلعن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) من صحابة الرسول (ص)، والذي كان يزعم أن أصحاب النبي (ص) ارتدوا بعده، والذي يبيح دم من يخالفه في رأيه[١١].

وقد هزم إبراهيم وجنده الأغلبي من العرب أمام جيش أبا عبدالله الشيعي في موقعة قرب قسنطينة[١٢].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 119؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 205.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 119؛ وانظر: نبيلة ، محاضرات، ص 205.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 119؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 205.
(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 122-123؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 208.
(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 122-123.
(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 131؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 212.
(٧) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 131-132؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 208-209.
(٨) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 134؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 245.
(٩) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 132-134؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 245.
(١٠) المصدر نفسه، ج1، ص 135-136.
(١١) المصدر نفسه، ج1، ص 137.
(١٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 138.

وتتلخص نتائج هزيمة العسكر الأغلبي في سنة 292هـ/905م في ازدياد قوة الداعي الشيعي، وحلول الوهن والضعف بين صفوف أهل أفريقية ودخول الهلع في قلوبهم(١).

وفي سنة 294هـ/906م كان لسقوط مدينة باغاية واستسلامها لأبي عبدالله الشيعي، اثره في نفس زيادة الله فنصحه وزيره عبدالله الصائغ بالرحيل سراً إلى مصر، ولكنه خاف من ثورة الناس عليه، فتوقف عن تنفيذ النصيحة (٢)، إذ أظهر له قائد جيوشه إبراهيم بن جيش خطأ فكرة الهروب، وأظهر له أن أهل البلاد معه وليس ضده، وأرسل الرجال والأموال إلى مدينة الأربس.

ولكن مدينة الإربس سقطت في 24 جمادى الآخرة سنة 296هـ/ 18 آذار (مارس) 909م، وانهزم إبراهيم بن الأغلب (واليها)، ودخل أبو عبدالله الشيعي المدينة عنوة(٣).

وقد قدم إبراهيم بن الأغلب القيروان ونزل بدار الإمارة، وبعث يستقدم الناس، وانتقد في حضورهم تصرفات زيادة الله، وطلب من الناس الإخلاص له، وإمداده بالرجال والأموال، إلا أنهم صاحوا به قائلين: (لا طاعة لك علينا، ولا بيعة لك في أعناقنا، فاخرج عنا) (٤). واضطروه هو ومن معه إلى ركوب خيلهم، والنجاة بأنفسهم، ثم أنهم لحقوا بزيادة الله(٥).

وقد هرب إبراهيم بن الأغلب إلى الاسكندرية، واستجار بعاملها من زيادة الله الذي سخط عليه، وبذلك انتهت دولة بين الأغلب بعد أن حكمت مائة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام(٦).

وقد انتقل إبراهيم بن الأغلب إلى تونس، وانتقل أهل بيته وجميع قواده ومواليه، وحارب ابن طولون في مصر، وهزم أهل نفوسة الذين اعترضوه في طرابلس، إذ قتل عاملها محمد بن زيادة الله(٧).

▪ موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبـــــــة:

فتح العرب شمال أفريقية في العصر الأموي على يد عقبة بن نافع في زمن معاوية ابن أبي سفيان، وأسس عقبة مدينة القيروان في أفريقية وتونس الآن، سنة 50هـ/ 670م؛ ليتخذها قاعدة لأعماله الحربية، واستكمال فتوحاته حتى وصل المحيط الأطلسي، وكان يسمى وقتذاك بحر الظلمات(٨).

وكان عقبة بن نافع مقيماً ببرقة، وزويلة من أيام عمر بن العاص، فجمع من أسلم من البربر، وضمه إلى الجيش، ليستعين بهم في فتح الشمال الإفريقي، وقام عقبة ببناء مدينة القيروان، واختلط بها دار الإمارة والمسجد الأعظم(٩).

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 159.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج1ن ص 143؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 255.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 146؛ انظر: نبيلة، محاضرات، ص255، 256.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 148؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص 44.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 148؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص 44.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص72-73؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 44-45؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 227.

(7) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص72-73؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق 3، ص 44-45؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص 227.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص 330، 331.

(٩) النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 12.

وقد ذكر النويري في نهاية الأول أنه لما سيطرت الصفرية على أفريقية سنة 141هـ، بعد أن قتلت قبيلة ورفجومة البربرية من قتلت من عربها، خرج جماعة إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور(*) منهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونافع بن عبد الرحمن السلمي وغيرهم أتوه يستصرخونه ويستنجدون به على البريد وأعمال التخريب في أفريقية، وكان أبو جعفر المنصور قد ولى محمد بن الأشعث مصر، ووجه أبا الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي إلى أفريقية فهزمه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 142هـ(١) وكانت تلك الموقعة في منطقة سرت (بالقرب من طرابلس) (٢).

ورجع أبو الأحوص يجر أذيال الخيبة والهزيمة إلى مصر، فكتب أبو جعفر المنصور إلى محمد بن الأشعث يأمره بالمسير بنفسه، ووجه إليه الجيوش، فبلغ عدد الجيش ما يقارب أربعين ألف مقاتل، ثلاثون ألفاً من أهل فارس، وعشرة آلاف من أهل الشام(٣).

وكان أبو جعفر المنصور قد وجههم مع محمد بن الأشعث الأغلب بن سالم التميمي، فلقيهم أبو الخطاب بمدينة سرت، وحدثت معركة كبيرة أدت في النهاية إلى هزيمة جيش أبي الخطاب من البربر، وقتل أبو الخطاب وبعث ابن الأشعث برأس أبي الخطاب إلى بغداد(٤).

وكان أبو الخطاب قد استقدم عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وأتى ابن رستم بمن معه للمشاركة في القتال ضد ابن الأشعث، ولما علم عبد الرحمن بن رستم ما آلت إليه الحرب وهزيمة البربر، وقتل قائدهم أبي الخطاب، ولى هارباً إلى تاهرت فنزل بها(٥).

وكان محمد بن الأشعث قد ضبط وسيطر سيطرة كاملة على أفريقية، وأحكم قبضته عليها، حيث كان يقتل كل من يخالفه من البربر، ولذلك فقد أطاعوه وأعلنوا ولاءهم له ولدولته(٦).

إذ أن محمد بن الأشعث اتبع سياسة القبضة الحديدية في السيطرة على البلاد والعباد، إلا أن سياسة القبضة الحديدية أدت إلى الانفلات داخل صفوف الجند، وقد تحدث الجند أن أبا جعفر المنصور قد دعا ابن الأشعث يأمره بالقدوم إليه، فرفض ابن الأشعث أوامر الخليفة العباسي، فثار عليه أحد الجند ويدعى عيسى بن موسى بن عجلان الخراساني، إذ قام بإخراج ابن الأشعث من القيروان وذلك سنة 148هـ(٧).

(*) أبو جعفر المنصور: هو ابن جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأمه سلامة البربرية، ولد سنة 95هـ في البصرة، وبويع بالخلافة معهد من أخيه، وقد تولى المنصور الخلافة سنة 137هـ/ فأول ما فعل أن قتل أبو مسلم الخراساني صاحب دعوتهم وممهد لمملكتهم، وفي سنة 140هـ شرع ببناء مدينة بغداد.انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، 311، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 240، 242، 243.

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72، الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 127، النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 39.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 27.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72، الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 39.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 128.

(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 28؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 40.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 72؛ الناصريّ الاستقصا، ج1، ص 128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 40.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 70؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 73؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 128؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 40.

ولما بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية بعث إلى ابن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي وولاه أفريقية[١].

وكان أبو جعفر المنصور عندما بعث إلى الأغلب بن سالم بكتاب عندما ولاه أفريقية، ووصاه، وأمره في بكتابه بالعدل في الرعيه، وحسن السيرة في الجند، وتحصين مدينة القيروان وتأمينها[٢].

وعندما جاء كتاب أبي جعفر المنصور كان الأغلب بن سالم والياً على منطقة طبنة من قبل محمد بن الأشعث، والأغلب بن سالم هذا هو جد الأغالبة ملوك وحكام أفريقية من بعده، وكان من ذوي الرأي والشجاعة وهو من أصحاب أبو مسلم الخراساني[٣].

ويتبين لنا مما سبق أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور كان يثق بالأغلب بن سالم وسيرته، ومن أجل ذلك فإنه قد ولاه شؤون أفريقية، وربما كانت هناك حكمة في نفس أبي جعفر المنصور أرادها من خلال تولية الأغلب بن سالم شؤون أفريقية.

وقد ثار على الأغلب ابن سالم شخص يدعى أبي قرة الصفري، بمشاركة جمع كبير من البربر، وحدثت معركة بينهما، وأدت بالتالي إلى هزيمة أبو قرة هذا وهروبه، إذ قدم الأغلب بن سالم إلى منطقة الزاب، وعزم على الرحيل إلى تلمسان ثم إلى طنجة، الأمر الذي أدى إلى مضايقة الجيش، ما أدى إلى تسلل جند الأغلب ليلاً إلى القيروان، ولم يبق إلا القليل من الجيش مع الأغلب[٤].

وفي سنة 150هـ/ 767م عندما شدد ابن الأغلب في محاربة الصفرية، ثار عليه أحد قواد البريد، ويدعى الحسن بن حرب الكنديّ بتونس، وكان هذا الأخير قد حبس عامل الأغلب على القيروان وهو سفيان بن سواده التميمي، وكان الأغلب قد بعث بكتاب إلى الحسن بن حرب الكنديّ يعرفه فيه بفضل الطاعة وعقبى المعصية، إلا أن الكنديّ رفض نصائح الأغلب، الأمر الذي أدى إلى القتال بينهما، وأدى ذلك إلى هزيمة الكثير من جيشه، وانهزم الحسن إلى تونس ورجع الأغلب إلى القيروان[٥].

وكان أبو جعفر المنصور قد بعث بكتاب إلى الحسن بن حرب الكنديّ يدعوه إلى الطاعة والأذعان لأوامر خليفة المسلمين، فأبى الحسن ورفض رفضاً باتاً الإذعان لأوامره، الأمر الذي أدى إلى إرسال جيش، لمحاربته على رأسه الأغلب حليف الدولة العباسية في أفريقية[٦].

وقد حدث لقاء ثان بين الحسن بن حرب الكنديّ وبين جيش الأغلب بن سالم، إذ حشد الحسن بن حرب الكنديّ الجيش، والعدة، والعتاد، ولمعاودة الكرة مرة أخرى لمحاربة الأغلب الذي كان في القيروان، وفعلاً حصلت الحرب بينهما، فأصيب الأغلب بسهم فقتله [٧] وقد قام

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ ابن الابار، الحلة اليسراء، ج1، ص 70؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 74؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 41.

[٢] ابن عذاري، البيان، ج1، ص 74، الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129.

[٣] طبنة: بلدة في الطرف الغربي لأفريقية (تونس) وهي تقع على ضفة الزاب، كان قد فتحها موسى بن نصير، وليس بين القيروان إلى سحلماسه مدينة أكبر منها. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 21.

[٤] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 40- 41.

[٥] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 24، ص 41.

[٦] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 129.

[٧] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 129؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 42.

بأمر أفريقية بعد الأغلب المخارق بن غفار، الذي هزم الحسن بن حرب الكنديّ في تلك الموقعة[١].

مما سبق يتبين لنا أن أفريقية كادت تخرج عن طاعة العباسيين في معظم عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وأن البربر والعرب مالوا إلى مبادئ الخوارج، ويحاولون خلع طاعة العباسيين الذين أخذوا يرسلون الجيوش تلو الجيوش لإخضاعهم، واستمرت أفريقية تسقط في أيدي الثوار حيناً، وفي أيدي العباسيين حيناً آخر.

ومهما يكن من أمر، فإنه لّما قتل الأغلب بن سالم ولّى المنصور على أفريقية أبا جعفر عمر بن حفص بن قبيصة أخي المهلب بن أبي صفرة، فوصل إلى القيروان. وكان جند الأغلب قد استولوا عليها بعد وفاته– وأقرّ الأمن في هذه البلاد نحو ثلاث سنين، ثم سار ناحية الزاب لبناء مدينة طُبنة، فانتهز البربر من الإباضية والصفرية غياب عمر بن حفص عن أفريقية، فثاروا عليه وهاجموا القيروان[٢].

وكانت أفريقية قد ثارت كلها، فقد حاصر طبنة أبو قره الصفري، وكان معه أربعون ألفاً وعبد الرحمن بن رستم ومعه خمسة عشر ألفاً، وأبو حاتم وعاصم السدراتي في ستة آلاف فارس، والمسعود الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس، ولكن عمر بن حفص استطاع فك حصار طبنة بارشاد بعض المحاصرين من الخوارج، فترك هؤلاء حصار طبنة، وحاصروا القيروان[٣]

وعندما علم أبو جعفر المنصور بما حل بجند عمر بن حفص يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة بعث بمدد قوامه ستون ألفاً، فوصل إلى أفريقية سنة 154هـ/ 771م، فالتقاه أبو حاتم الخارجي، لكن الهزيمة لحقت به، وقتل هو وجنده على يد البربر سنة 155هـ/ 772م، وراح المهلب يقتلون الخوارج[٤].

ويبدو أن الخليفة العباسي لّما تخلص من أعدائه أصبح من القوة بمكان، بحيث استطاع أن يرسل إلى بلاد المغرب جيشاً جراراً لإقرار الأمن في جميع أرجاء هذه البلاد وحيناً من الدهر.

واستمرت قبائل البربر في أفريقية تحمل لواء الثورة ضد العباسيين من سنة 178هـ/ 795م إلى 181هـ/ 798م، محاولة الخروج على الحكم العباسي، يتقاسمون الفوز والهزيمة، بينهم وبين العباسيين، حتى بعث هارون الرشيد هرثمة بن أعين بجيش جرار؛ ليحد من نشاطهم، ويضعف قوتهم، إلا أن هرثمة لم يكمل المسيرة، فاعتذر عن البقاء، فكاتب الرشيد، وأمره الرشيد بالتوجه إلى بغداد، فسار إليها في رمضان 181هـ/ 798م، وكانت مدة ولايته على أفريقية سنتين ونصف[٥].

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 26؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 130؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 42.

[٢] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 31؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 130، النويريّ، ج 24، ص 43.

[٣] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 32، ابن عذاري، البيان، ج1، ص 75؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 130؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 43.

[٤] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 32؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 74؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 76؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 131، النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 43.

[٥] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 95؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 90؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 89؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 135؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 51، 52.

وكان قد تولى أفريقية قبله مجموعة من القادة الذين حاولوا إرساء أسس الأمن والاستقرار في أفريقية، نذكر منهم: داوود بن يزيد بن حاتم الذي تابع هزيمة البربر وإخضاعهم، وروح بن حاتم، ونصر بن حبيب المهلبي، والفضل بن روح[١].

ولم يكن العداء بين البربر والعباسيين عداءً عرقياً أو مذهبياً يوماً ما، لأن المذهب المالكي قد انتشر انتشاراً واسعاً في المغرب والأندلس، ولأن حلفاء بني العباس قد طهروا من البدع، ولأن خوارج العراق قد بثوا فيهم "أن الخلافة لا تشترط القرشية بل ولا العربية، وأن كل من اتقى الله كان أحق بها، ولو كان عبداً حبشياً، وبثوا فيهم بعض مبادئ الخوارج وخلافتهم وقد أخذ البربر بذلك[٢].

وفي عهد إبراهيم بن الأغلب (184– 196هـ) تولّى أمر أفريقية بعد أن كتب إلى هارون الرشيد يطلب منه توليته عليها، وقد وافق الرشيد على ذلك، وبارك له ما أراد بشرط تحقيق أهداف الدولة العباسية[٣].

وعندما ولى إبراهيم بن الأغلب أمر الحكم في أفريقية، ضرب بيد من حديد على مواطن الشر والفتن بأفريقية، واتبع سياسة اللين والمعاملة الحسنة مع أهلها، وكل من تسول له نفسه شراً ومخالفة أوامر الخلافة كان يبعث بهم إلى بغداد لمحاسبتهم، ومعاقبتهم عقاباً شديداً[٤].

ويجسد إبراهيم بن الأغلب ولاءه للخلافة العباسية في بغداد وولائه للبيت العباسي من خلال هذه الأبيات الشعرية، التي يرويها لنا الرقيق القيرواني في تاريخ أفريقية، إذ يقول إبراهيم بن الأغلب[٥]:

ألم ترني بالكيد أرديت راشداً — بأخرى وإني لابن ادريس راصد

تناوله عزمي على نأي داره — بمختومة في طيّهن المكائد

وكان راشد هذا قد علا أمره بالمغرب، حينما ساعد إدريس على الوصول إلى المغرب وقد تولى رعاية ابنه إدريس الثاني من بعده، وهو مولى إدريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى سنة 172هـ/ 788م[٦]، وأن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على العلاقات الجيدة بين الخلافة العباسية وإبراهيم بن الأغلب ذلك لأن هناك أهدافاً مشتركة لكلا الكرفين يسعى إلى تحقيقها.

وكان الأغالبة قد تبنوا اللون الأسود (وهو شعار بني العباس)، وهو اللون الرسمي، ولم يتخلوا عنه أبداً، ودافعوا في الداخل والخارج عن راية الخلافة حتى سقوط دولتهم سنة 296هـ/ 908م[٧].

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 84، 94، 95، ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 77، 80، 81، 85؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 82، 84، 85؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 134، 135.

[٢] الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 136، 137، 139.

[٣] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 104؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 94.

[٤] النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 55.

[٥] الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 214.

[٦] الرقيق القيروانيّ، تاريخ أفريقية، ص 214.

[٧] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 101– 102.

وقد كانت القيروان عاصمة الأغالبة، تتبع السياسة نفسها لبغداد عاصمة العباسيين، وقد شارك الأغالبة في السياسة التي سنها الرشيد، واتخذوا موقف العداء تجاه الأدارسة والطالبيين بعامة والرستميين كذلك[١]، وعملوا بالسياسة الدينية نفسها التي سار عليها بنو العباس، فقد كانوا إلى أن سقطت دولتهم معتنقين مذهب الاعتزال، وهو المعتقد الذي جسّمه المأمون (198- 218هـ/ 803- 833م)، في مأساة دينه، لكن موقفهم تطور في الاتجاه نفسه وبالسرعة نفسها المعمول بها في الشرق إزاء مذهب السنة[٢].

ومن المعلوم أن هارون الرشيد، كان يكاتب إبراهيم الأول ابن الأغلب، وبصورة شخصية، ولم ينقطع هذا التراسل مع الزمن بين الأمراء الأغالبة والخلفاء العباسيين[٣].

وعندما قام حمديس الكنديّ الملقب بـ (خريش) بثورته سنة 184هـ/802م (التي كانت من أبناء العرب الذين كانوا بأفريقية، وقد خلع السواد معلناً رفض الولاء والطاعة والتبعية للعباسيين، وقد كثر مؤيدوه من البربر والعرب فبعث بكتاب إلى إبراهيم بن الأغلب، يعلن فيها الخروج عليه فبعث إليه إبراهيم بن الأغلب بكتاب يرد عليه، ومما قال فيه:

(فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة غيري ما وصلت أنت فيمن معك بخلافكم إليه، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي، ونصرة دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فكيف وعندي من شيعته، وأبناء أنصاره، من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي)[٤].

مما سبق يتبين مدى ولاء وانتماء وطاعة بني الأغلب للدولة العباسية.

وفي سنة 189هـ/ 804م قامت ثورة في طرابلس التي كانت تابعة لأمير أفريقية، ذلك لأن أهلها كانوا يكرهون واليهم سفيان بن المضاء، إذ قام سكان طرابلس بإخراجه من داره وطاردوه إلى المسجد، وقتلوا أصحابه، وأرغموه على العودة إلى القيروان، فأرسل إليهم إبراهيم بن الأغلب جيشاً، وقام بإحضارهم إلى القيروان، ثم أصدر أمراً بالعفو عنهم[٥].

وقد ثار شخص يدعى أبوعصام على رأس جماعة كبيرة في طرابلس، وقد ظفر بهم إبراهيم بن الأغلب، وولى طرابلس ابنه عبد الله الذي لقى مقاومة شديدة من البربر، ولكنه بحنكته وحكمته استطاع أن يجذب البربر الثائرين إلى جانبه بعد أن أغدق عليهم الأموال[٦].

وحشد عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الكثير من الجند الذين زحف بهم إلى طرابلس، وحدثت معركة كبيرة بينهما، فانهزم جند طرابلس، ودخل عبد الله المدينة، لكن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ابن مؤسس الدولة الرشمية 161هـ/ 777م) جمع البربر وحرضهم على قتال الأغالبة حلفاء العباسيين، وحاربهم إلى أن توفي أبوه إبراهيم بن الأغلب، وآلت إمارة الأغالبة إليه، فاضطرهم إلى طلب المصالحة على أن يكون البلد والبحر لعبد الله ابن إبراهيم، وخارج ذلك يكون لعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[٧].

وقد استمر ولاء وانتماء وطاعة الأغالبة للدولة العباسية. وفي هذا الصدد كتب الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد دعوت فيها زيادة الله بن الأغلب أن يدعوا على منابره

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 101- 102.
[٢] المصدر تفسه، ج1، ص 101- 102.
[٣] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 102.
[٤] المصدر نفسه، ج1، ص 104.
[٥] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 156؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص 214.
[٦] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 156.
[٧] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 157.

لعبد الله بن طاهر بن الحسن[*] (وهو ابن من قتل أخيه الأمين"، وقد اشتاط زيادة الله بن الأغلب غضباً، فأمر بإدخال الرسول الذي بعثه المأمون عليه ثم قال له: "قد علم أمير المؤمنين– ويقصد المأمون– طاعتي له وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خزاعة؟ ويقصد عبد الله بن طاهر– فرفض الدعاء لعبد الله بن طاهر بن الحسين، ثم مد بكيس إلى جانبه، وأعطى الرسول ألف دينار، لإيصال الرسالة إلى الخليفة العباسي– المأمون، وكانت النقود مضروبة باسم إدريس الحسني ليعلمه ما هو عليه من فتنه بالمغرب، ومقاومة الدولة الإدريسية العلوية في المغرب الأقصى، وكان حينها زيادة الله ثملاً[١].

فلّما أفاق من سكرته بعث بكتاب آخر يتلطف فيه الخليفة العباسي المأمون [٢]، وكان زيادة الله يدعو للمأمون وإبراهيم بن المهدي، الذي ادّعى الخلافة ببغداد بعد قتل الأمين، إلى أن قدم المأمون بغداد، فكاتبه، وشكر له فعله، وحسن صنيعه[٣].

يفهم مما سبق أن علاقة الأغالبة كانت علاقة وطيدة مع العباسيين، فكثيراً ما ساندت الخلافة العباسية الدولة الأغلبية، فقد أرسلت الأموال إلى إبراهيم بن الأغلب من مصر عندما تمرد عليه عمر بن مجالد سنة 194هـ/ 809م، وقد تدخل المأمون طالباً من الفرنجة الكف عن أفريقية عندما تعرضت سواحلها لهم سنة 213هـ/ 828م[٤].

وكذلك كان وجود الدولة الأغلبية في أفريقية إنما هو تحقيق لأهداف الدولة العباسية؛ لأنها وقفت بكل صلابة وحزم في وجه الدول المستقلة الأخرى في المغرب العربي.

وعندما وقع زلزال في أفريقية (تونس) سنة 245هـ/ 859م أرسل الخليفة المأمون الأموال دعماً لدولة الأغالبة[٥].

وكان الأمراء الأغالبة يتسلمون التقليد من الخلفاء العباسيين، فقد أقرّ الخليفة العباسي الأمين (193– 198هـ/ 808– 813م) إبراهيم بن الأغلب على ولايته، وكذلك فعّل المأمون (198– 218هـ/ 813– 833م) عندما أرسل التقليد إلى زيادة الله الأول[٦].

وكانت بغداد عاصمة العباسيين ملجأ لبعض أفراد الأغالبة الذين تركوا أفريقية، مثل: أحمد بن الأغلب الذي أخرج من أفريقية إلى مصر ومن ثم إلى العراق، على يد أخيه محمد بن الأغلب[٧].

كما التجأ آخر أمراء الدولة الأغلبية زيادة الله بن أبي العباس (291– 296هـ/ 903– 908م) الذي أخرج من أفريقية إلى المشرق مستنجداً بالخلافة العباسية، حينما قامت دعوة أبي عبد الله الشيعي، والدعوة لأبي عبد الله المهدي الفاطمي[٨].

(*)عبد الله بن طاهر بن الحسين: أحد قادة المأمون، والي مصر سنة 211هـ/ 826م. انظر: الكنديّ الولاة، ص 180– 181؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 165؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج3، ص 16.

[١] ابن الابار الحلة السيراء، ج1، ص 165.

[٢] المصدر نفسه، ج1، ص 165.

[٣] المصدر نفسه، ج1، ص 166.

[٤] إسماعيل، الأغالبة، ص 172– 173.

[٥] الطبريّ، تاريخ، ج5، ص 328؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 255.

[٦] ابن عذاري، البيان، ج1، ص 94؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، بيروت، 1987م، ج5، ص 120؛ وسيشار إليه فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 169.

[٧] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 180؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 109؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 83.

[٨] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 182؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 83– 84.

وكان الخلفاء العباسيون يوجهون اللوم والانتقاد إلى بعض أمراء بني الأغلب، إذا أحسّوا منهم بأي إساءة لهم وللرعية، إذ لم يتوان الخليفة العباسي المعتضد (279- 289هـ/ 892- 901م) عندما وجه اللوم والتوبيخ إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عندما أساء السيرة[١].

إن إبراهيم بن الأغلب كان يضمر الحقد لمحمد بن زيادة الله، لحسن سيرته، إلى أن قتله، فيقول ابن الابار في "الحلة السيراء": (وكان الذي هاجه لذلك وبعثه عليه- مع قدم حسده له- أنه وجه رسولاً إلى بغداد، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكو إلى المعتضد صنع إبراهيم، فقال المعتضد: "عجباً من إبراهيم ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه، وعامله على طرابلس يبلغنا خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان")[٢].

وقد كتب الخليفة العباسي المعتضد إلى إبراهيم بن أحمد كتاباً يهدده فيه، ويوبخه أيضاً على سوء أفعاله إذ قال في الكتاب: "إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فاسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة صاحب طرابلس"، فخرج إبراهيم إلى طرابلس خفية، وأظهر أنه يريد مصر حيلة منه، إلى أن ظفر بمحمد بن زيادة الله فقتله، وصلبه"[٣].

وقد كان الأغالبة يتخذون السواد "شعار العباسيين"، كما كانت النقود المتداولة بين الناس في الدولة الأغلبية نقوداً عباسية، تحمل أسماء خلفاء بني العباس[٤].

وكانت أسماء أمراء الأغالبة قد سكت على نقودهم، لكن دون الإشارة إلى اسم الخليفة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الاستقلال السياسي الذي تتمتع به دولة الأغالبة، رغم ارتباطها وطاعتها وولائها للخلافة العباسية[٥]، وكانت دولة الأغالبة في جميع الأحوال تحتفظ بعلاقات جيدة مع الدولة العباسية، إذ كانت الهدايا والأموال ترسل من أفريقية إلى بلاط الدولة العباسية في بغداد تقرباً وطاعة[٦].

ومن تلك الهدايا التي كانت ترسل إلى البلاط العباسي من قبل أمراء الأغالبة يذكر أنه قد حمل إلى بغداد في عهد الخليفة الرشيد ثلاثة عشر ألف درهم، ومائة وعشرون بساطاً من أفريقية، كما أرسل الأمير إلى أبي إبراهيم أحمد الأغلبي بعضاً من السبايا قصريانه إلى الخليفة العباسي المتوكل[٧].

وكان الأمير زيادة الله الثالث قد أرسل إلى الخليفة العباسي المكتفي (289- 295هـ/ 901- 907م) الكثير من الهدايا، والأموال، والدنانير كتب على تلك الدنانير[٨]:

ومن لا يرى لك طاعة فالله

قد أعماه من طرق الهدى وأضله

---

[١] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 180.

[٢] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 180.

[٣] المصدر نفسه، ج1، ص 180.

[٤] عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 428- 429.

[٥] ابن قربة، المسكوكات، ص 177- 178؛ في حين يشير الدكتور محمود إسماعيل في كتابه "الأغالبة"، ص 52، وفي الهامشين 22، 23 إلى وجود نوعين من السكة عند الأغالبة، أحدهما يضرب عليه اسم الخليفة، والآخر للتداول في أفريقية، ولكن لم يعثر على مثل هذه النقود؛ وكذلك انظر: فهمي، محمد عبد الرحمن، فجر السكة العربية، مطبعة بولاق، القاهرة، 1965م، ص 829، 831، 833، 834، 835، 836؛ ابن قربة، المسكوتات، ص 86.

[٦] الجهشياري، أبا عبد الله بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تح مصطفى السقا وآخرون، مطبعة بولاق، القاهرة، 1938م، ص 287، وسيشار إليه فيما بعد: الجهشياري، الوزراء.

[٧] الجهشياري، الوزراء، ص 90.

[٨] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 178.

كما كانت هناك معاهدات بين الأسرتين العباسية في بغداد والأغلبية في تونس، فقد زوّج إبراهيم بن أحمد (261- 289هـ)، بنت أخيه لعبد الوهاب بن محمد المهتدي[١].
ومن خلال الأحداث التي مرت بها الدولة الأغلبية وعلاقتها بالدولة العباسية يتبين أن تلك المعاهدات كانت معاهدات عسكرية وسياسية واقتصادية.

وكانت مواقف دولة الأغالبة تدل وتعبر عن عروبتهم وانتمائهم، وهو موقف منسجم مع الموقف الطبيعي للعرب في تأييد الخليفة الأمين[٢].

وكان خلفاء بني العباس يثنون على أمراء دولة الأغالبة، وذلك عندما يقوم أمراء الأغالبة بالخطبة والدعاء للخلفاء العباسيين، ومثال ذلك عندما دعا زيادة الله للخليفة العباسي المأمون، ولعمه إبراهيم بن المهدي على منابر القيروان، فاستحق بذلك ثناء المأمون عليه[٣].

وكان البربر يحاولون كلما سنحت لهم الفرصة بأن ينقلبوا على دولة بني الأغلب، ويمتنعون عن دفع العشور والصدقات إلى بيت المال، ومن ذلك نذكر أنه حدثت سنة 245هـ حرب كبيرة بين البربر وجيش إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، وسببها أن بعض البربر امتنعوا عن دفع العشور والصدقات لعامل طرابلس، فسير إليهم أحمد بن محمد بن الأغلب جيشاً مع أخيه زيادة الله فانهزم البربر [٤]، إذ أن عدم دفع الضرائب للدولة الأغلبية يعني ذلك في نظر الأغالبة الخروج على دولة الخلافة الشرعية، ولذلك فإن الدولة الأغلبية كانت تضرب بيد من حديد لكل من تسول له نفسه الخروج عليها.

ومجمل القول إن موقف الدولة العباسية من دولة الأغالبة، وموقف الأغالبة من الخلافة العباسية ومن خلال كل الخلفاء العباسيين، وعلاقتهما، ببعضهما البعض ان تلك العلاقة لم تقف عند حد الولاء والطاعة وتقديم الأموال والهدايا، لا بل إن موقف الأغالبة كان يتسم بالعدائية تجاه كل من يعادي الدولة العباسية، كالأدارسة، والرستميين، والأمويين في الأندلس، كما كانت علاقة الدولة الأغلبية علاقة جيدة مع كل من كانت علاقته جيدة مع العباسيين، ومثال ذلك الكارلونجيون الذين كانوا أصدقاء للدولة العباسية[٥].

ولم تقتصر علاقة الأغالبة بالخلافة على هذه الأمور، بل تعدتها إلى العلاقات الاقتصادية والثقافية[٦]. فالأمراء الأغالبة قد سايروا المأمون في تأييد مذهب الاعتزال، ثم تحولوا عنه عندما طارد الخليفة العباسي المتوكل أصحابه في المشرق[٧].

ومهما يكن من أمر، فقد كان موقف الدولة العباسية من الأغالبة يتسم بالوضوح والصراحة، والإيجابية، وقد تغلب فيه الائتلاف على الاختلاف، ولم يكن ليقع غير ذلك.

---

[١] ابن حزم، جمهرة، ص 25- 26؛ وانظر: عبد الوهاب، ورقات، ج1، ص 393- 394.

[٢] الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 209.

[٣] ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 166؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج3، ص 16؛ وانظر: فهد، بدري محمد، الخليفة المغني، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م، ص 51. وسيشار إليه فيما بعد: فهد، الخليفة المغني.

[٤] ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 300.

[٥] الكارلونجيون، أسرة حكمت فرنسا وإيطاليا وبعض مناطق أوروبا، تأسست دولتها سنة 752م، على يد شخص يدعى بيبين القيصر.انظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار صادر، بيروت، 1972م، ص 155، 172؛ سيديلو.ل.أ، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، (د. مط)، القاهرة، 1962م، ص 195.

[٦] إسماعيل، الأغالبة، ص 61- 672؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 99.

[٧] الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص 367- 368؛ إسماعيل الأغالبة، ص 51؛ قاسم، الحياة الفكرية، ص 99.

وصيغة الاتحاد المتصورة بين بغداد والقيروان، إنما هي نوع من الزواج المتعقل المبرم في نطاق نظام تفريق الأموال وتوزيعها، وقد تبين أنه متين الأركان، وبقي الاتحاد حتى النهاية رغم الصدامات التي لا مفر منها، والنوائب.

وكانت الخطبة– وهذا هو الأساس في نظر ذلك العصر– تلقى دوماً باسم الخليفة العباسي– والخطبة هي التي تحدد مدى الولاء، والانتماء، والارتباط، والاتصال، والتودد للدولة العباسية الشرعية.

وقد اتسم موقف الدولة العباسية من الأغالبة بالتعاون، والود، والاحترام، والمعاملة بالمثل، باستثناء بعض فترات التوتر، ولذا فقد دون التاريخ أجمل الحديث عن تلك التجربة التي كانت ناجحة في جملتها.

وكان في انقراض دولة الأغالبة بعد مائة واثنتي عشرة سنة من الحكم المتواصل، التأييد والولاء للخلافة العباسية له آثاره السيئة على الدولة العباسية، إذ نشأت دول أخرى بعد ذلك على أساس مذهبي مغاير لمذهب الدولة العباسية إذ تأسست الدولة الفاطمية، وتوطد ملك بني عبيد فقد قام أبو عبد الله الشيعي بهزيمة جيوش الأغالبة، واستولى على بلاد المغرب، وانتزعها من زيادة الله بن أبي العباس وسلمت إليه المغرب سنة 296هـ، واستقل بالأمر وعمل على استقلال الدولة الفاطمية فيما بعد عن الخلافة العباسية، وبنى مدينة المهدية [*]، وانتقل إليها، وبذلك قامت الدولة الفاطمية الشيعية[١].

وقام عهد جديد لدولة جديدة مستقلة عن الدولة العباسية، وكل عداء سياسي ومذهبي مع الدولة العباسية[٢].

(*) المهدية: سميت نسبة إلى عبد الله المهدي، وقد اختطها المهدي، وهي أفريقية (تونس)، تقع إلى الشمال من القيروان.
انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص 229– 230.

(١) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 192؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 151؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 84.

(٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص 192؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص 151؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص 84.